كنيسة القديسين مارمرقس الرسول
والبابا بطرس خاتم الشهداء

إقرأ وإفهم
رويات إيمانية

كنز قمران



كنيسة القديسين مار مرقس الرسـول والبابا بطرس خاتم الشهداء بالإسكندرية

اقـرأ وافهـم
روايات إيمانية

كنز قمران



إسم الكتاب : كنز قمران
الطبعة : الأنبا رويس الأوفست
الطبعة : الأولى فبراير ٢٠٠٢م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٥٦٢/ ٢٠٠٢م



وقف الاسكندر الأكبر في زهوه يبكي...

عجباً .. لماذا تبكى أيها البطل المغوار؟!

لماذا تبكى أيها الإمبراطور يا أبن الملك " فيليب " ؟!

أتبكي بعد انتصاراتك الساحقة؟!

لماذا تبكى وقد تنبأ عنك دانيال النبي قبل ميلادك بمئات السنين؟!

ألم يصفك الوحي الإلهي بأنك " التيس العفي ملك اليونان " (دا٨: ٢١) ؟!

ألم يشر إليك الوحي بأنك التيس القوى المتجبّر ذو القرن المُعتَبر، الذي يركض بسرعة ويضرب الكبش ذو القرنين (إمبراطورية مادى وفارس) فيكسر قرنيه ، ولا تكن للكبش قوة فيما بعد على الوقوف أمامك إذ تطرحه في الأرض وتدوسه وليس للكبش منقذ من يديك ، وأنك تتعظم جداً (دا٨: ٥-٧) وكل هذا حدث فعلاً .. فلِمَ تبكى؟!

أيبكى من غزا العالم شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، وأخضع الكل لسلطانه من اليونان للهند ومن أسيا الصغرى إلى مصر وهو بعد شاب صغير؟!

وإذ بصوت الإمبراطور يرن في أذني:

ياهذا .. إنني أبكى لأنه لم يعد من يقف مقابلي فأقاتله وأسحقه ..

إنني أبكى لأنه لم يعد هناك مكاناً مغلقاً أمامي..لقد منحتني السماء النصرة السريعة الكاملة على الكل في وقت وجيز نحو عشر سنوات.. أنني أبكي لأني أشعر كأن حياتي أمست بلا قيمة، وكأن رسالتي قد انتهت، ولابد أن أرحل عن هذا العالم..

وفعلاً رحل الاسكندر الأكبر سنة ٣٢٣ق.م وهو في ريعان الشباب إذ كان عمره ثلاثة وثلاثين عاماً، ووراء رحيله ناموسة ضعيفة أصابته بمرض الملاريا، وعجز الطب حينذاك عن إنقاذه ، وبموت الاسكندر تنازع أتباعه على الإمبراطورية ، وقسّموها فيما بينهم إلى أربعة ممالك ، فكانت مصر من نصيب بطليموس لاجوس ودُعيت بدولة البطالسة، وكانت سوريا من نصيب سلوقي نيكاتور ودُعيت بالدولة السلوقية، وبين البطالسة والسلوقيين دارت الحرب سجالاً ، فكل منهما يريد أن يبسط سلطانه على

الآخر، أما بلاد اليهودية محل النزاع بين الدولتين فكانت تخضع لمصر تارة ولسوريا تارة أخرى ، ومات الأمل اليهودي الذي كان يرجو الخلاص من الاستعمار الفارسي على يد إسكندر الأكبر ، فإذ بهم يدخلون تحت الاستعمار اليوناني.

ومرَّ نحو مائة وأربعون عاماً على رحيل الاسكندر الأكبر ، وفي عهد الملك السلوقي أنطيوخس الثالث (٢٢٣-١٨٧ق.م) خضعت اليهودية له وعاش العبرانيون في أراضيهم ، وقد بسط الملك سماحته عليهم ، ولاسيما أنهم ساعدوه في طرد البطالسة الذين كانوا قد أخضعوا بلاد اليهودية لمدة مائة عام تحت سيطرتهم ، وبالرغم من أن العبرانيين كانوا يؤدون الجزية للملك أنطيوخس الثالث لكنهم كانوا ينعمون بالسلام وحرية العبادة في أورشليم .. أورشليم... أعظم مدن الأرض قاطبة..

ما أجملك أيتها المدينة الآمنة العامرة بالملائكة والبشر!!

وما أحلاك ياأورشليم مدينة الملك العظيم ، ورب الصباؤوت قائم في هيكلك المقدس !!

وما أعظم رئيس كهنتكِ عندما يكون مخلصاً أميناً محباً يجذب القلوب ويقود الشعب إلى أورشليم السمائية !!

وفي هدوء الليل والسلام يلف المدينة بغلاله من الأمن

والطمأنينة نام الجميع ، بينما الكاهن الخدّيم ظل ساهراً للصبـــاح يرقب النار التي تحتضن في أحشائها ذبيحة المساء .. أنه يراقبها ويتعهدها ويرعاها حتى لا تخمد وتنطفئ تلك النيران التي ما لـــها أن تنطفئ ليلاً ولا نهاراً ، وحتى لا تشتعل أكثر مما ينبغي.

وفي منتصف الليل دلف أونياس الكاهن العظيم إلى القـــدس.. نظر إلى مائدة خبز الوجوه فإذ هي مرتَّبة بدقة والأرغفة مُقدَّمـــة عليها، ومذبح البخور قائم بمجد ومازالت رائحة البخور تُشم فـــي المكان المقدس ، أما المنارة ذات السرج الســبعة فقـد أرسـلت أشعتها الذهبية لتضئ ظلمة المكان وتعلن عن شمس البر الـــذي سيشرق والشفاء في أجنحتها.

وفي هذا المكان المقدس جثا أونياس على ركبتيـــه وانـــهمرت دموعه مدراراً .. حقاً أن لغة الدموع لهي أقوى كثيراً مـــن لغـــة اللسان ، وأمامها يقف الله مغلوباً من تحننه وينادى تلك العيـــون المنكسرة ويناجيها " حولي عني عينيك لأنهما قد غلبتاني "

ما بالك أيتها الدموع تنهمرين غزيرة ساخنة ؟!

هل لأنك تصدرين من قلب يحترق يستصرخ رب البيت ؟!

حقاً أن قلب أونياس يستمطر المراحم الإلهية :

يا إلهي ألم تُوصنا أنت بحفظ الوديعة وردها إلى صاحبها متى

أراد ؟! .. أولئك الذين وثقوا فيك وأودعوا ودائعهم في بيتك ، ومعظمهم من الأرامل والأيتام، متى جاءوا يطلبون ودائعهم .. فماذا أقول لهم ؟!

ألم تعظم الصنيع معنا حتى أن الملك يتحمل تكلفة الذبائح ؟! .. هل بسبب خطايانا وآثامنا تخيّب رجاؤنا فيك ؟!

أنت تعلم ياإلهي إنني سرت أمامك بالأمانة والإستقامة ، وكل ما وقع بيني وبين "سمعان" وكيل الهيكل من خلاف فلأنني لم اقرّه على مطامعه، فوشى بي إلى "ابلونيوس بن ترساوس" الذي أغرى الملك السوري ، فأرسل "هليودورس" ليسلب أموال الأرامل واليتامى ويحملها إلى الملك .. لقد ظنوا أنّ الخزائن تفيض بالذهب والفضة، وأنت تعلم أن كل ما فيها أربعين قنطاراً من الفضة ومئتا قنطار من الذهب، وجميعها ودائع للغير لا أملك منها شيئاً .. أن حملها هليودورس إلى ملكه، فماذا أفعل مع أصحاب هذه الودائع؟!

وساخت الدموع سخينة تنسكب انسكاباً على أرض المقدس بينما يدفن أونياس وجهه بين كفيه ، وإذ بالنور المنبعث من المنارة الذهبية يتوهج بشدة ثم يخبو عدَّة مرات .. تنبه أونياس وأزاح يديه ، وأبصر بعينيه ، فإذ هي اِستجابة السماء .. كم استراحت نفسه وتهلل قلبه وشكر إلهه الحي الذي حفظ لبيته مهابته ،

ولأولاده الأيتام والأرامل ودائعهم ؟! ..

مرَّ الوقت وهو لا يدرى .. أهو في أورشليم الأرضية أم أنه في الهيكل السمائي أمام النور الإلهي؟! .. لم ينتبه أونياس إلاَّ على صوت ثغاء الحمل الذبيح وهو يقاد للذبح ليقدَّم لله ذبيحة صباحية، فبارك اسم الله المتعالي وأنصرف إلى بيته.

وما أن دخل البيت حتى أسرعت إليه زوجته :

أين كنتَ يا كاهن الله طوال الليل ؟!

هلا سعيت إلى هليودورس تستعطفه بالهدايا ؟!

أونياس : كلاً .. كلاًّ يا عزيزتي .. لم أذهب إلى هليودورس ولكنني سعيت إلى من بيده الحل والربط .

الزوجة: أوه أونياس، وهل ملك سوريا العظيم جاء إلى أورشليم؟!

أونياس : لم أسعَ نحو ملك أرضي، ولكنني قصدت ملك الملوك ورب الأرباب .. نعم إلى بيته ذهبتُ، وإليه توجهتُ ، وأشكره لأنه استجاب لطلبتي.. أنني حدثته بلغة الدموع وأجابني بلغة النور.

الزوجة : لا افهم عزيزي ما أنت تقول..لقد أثرت فيَّ اشتياقات عظيمة .. أسرع وأخبرني فإن معجزات إله آبائنا لم ولن تنتهي من جيل إلى جيل .

أونياس : دعيني استريح قليلاً، وبعد قليل ستبصرين عمل إلهنا

الحي إلى أبد الآبدين .. أنا لا أعلم ماذا سيفعل ولكنني أعلم أنـــه لابد أن يفعل.

وفي الصباح كنتَ ترى المدينة الآمنة وقد ارتجَّت حزناً .. كهنـــة الله بالمسوح والدموع ينطرحون أمام مذبح رب الجنـــود .. تجمـــع الرجال في الهيكل وفي البيـــوت مجموعـــات مجموعـــات يصلـــون ويتضرعون لرب السمـاء .. العذارى يقفنَ بجوار الأبواب أو يتطلعنَ من الكوى بعيون باكية وهنَّ يرفعنَّ أكف الضراعة نحو إله إسرائيل

وحدث في ذلك الوقت أن تجرأ هليودورس وداس مع رجالـــه حرمة الهيكل .. أنهم يسعون نحو الخزائن، وإذ بفـــرس أبيـــض يتراءى لهيلودورس، والفرس يرتفـــع فـــوق مســـتوى الأرض ، والراكب عليه فارس مخوف يرتدي ملابس ذهبية لم يرتدِ مثلـــها أعظم ملوك الأرض .. أرتعب هليودورس ، وقبل أن يصـــرخ أو ينطق ببنت شفه فإذ بالفرس يضربه بحوافر رجليـــه الأماميـــة ، فيسقطه أرضاً ليغيب عن وعيه ، ويجد نفسه أمـــام أثنيـــن مـــن الفتيان الحُسان ، البديعا البهاء ، وكل منهما فـــي يـــده ســـوطاً ، وانهالا عليه يجلدانه جلدات قاسية لا طاقة له على إحتمالها قط .. لقد أثخنت الجلدات جسده، بينما رجاله حوله لا يـــرون شـــيئاً ولا يسمعون غير تنهداته المكتومة ، وتأوهاتـــه التي تعبر عن عميق

عميق الألم ، فحملوه وهو في الرمق الأخير ، ووضعوه أمام الكاهن العظيم أونياس يطلبون منه بإلحاح أن يبتهل لإلهه ليصفح عنه ، وأنهم يعاهدونه على أن يتركوا المكان ويعودون فوراً إلى ملكهم وإلى أرضهم .

وقال الكاهن العظيم في نفسه ربما لو ألمَّ بهليودورس مكروه لظن الملك أن السبب هو اليهود فيجازيهم شراً ، وأسرع أونياس بتقديم ذبيحة الإثم وأخذ يستمطر المراحم الإلهية لهليودورس ، وإذا الفتيين يعودان إليه فيراهما هو ولا يراهما أحد غيره ، ويأمرانه أن يمضى ويقدم الشكر للكاهن الأعظم الذي بشفاعته مَنَّ الله عليه بالحياة ، وطلبا منه أن يخبر الجميع بكم صنع الرب به ورحمه ؟!

ونهض هليودورس وسط دهشة وذهول المجتمعين، ليقص للجميع كم صنع به العدل الإلهي، وكم صنعت به الرحمة الإلهية ، وانحنى ليشكر أونياس على مشاعره الرقيقة . ثم أعطى على الفور إشارة الرحيل لجنوده فأسرعوا خلفه عائدين إلى ملكهم .

وفي القصر الملكي السوري كان يجلس أنطيوخس ملك سوريا في محفله ورجاله حوله، ولا سيما المنافقون منهم الذين يقتربون إليه أكثر فأكثر ، والملك يحكي لهم عن الغنى الجزيل الذي سيتمتع به قريباً لأن هليودورس ذهب إلى أورشليم ليُحضر له

كنوز الملك سليمان كما أخبره بهذا سمعان وكيل الهيكل ، وأنه سيقيم مشاريع عمرانية عظيمة في أرجاء مملكته ولا سيما في أنطاكية وأورشليم ، وبينما الملك يحكى ويقص ، وفي نشوته إقترب منه الحاجب يستأذنه في دخول هليودورس الذي حضر لوقته من أورشليم ، ودخل هليودورس يسجد أمام وليّ نعمته يقدم ولاءه وإحترامه وتحياته .

الملك : هليودورس .. أوه هليودورس وكيلي الأمين .. لعلك وفقت فيما ذهبت لأجله .. لابد أن أكافئك على أمانتك وجهادك ونجاحك .

هليودورس :.........

الملك : هليودورس أنا أثق فيك وأصدق كلامك .. تُرى من يكون أهلاً أن نرسله إلى أورشليم ليعود إلينا بكنوز سليمان؟

هليودورس : سيدي الملك.. ليكن أحد الأصحاب المنافقين ، فأنك إن لم تغنم من موته فإنك ستغنم من تأديبه وإصلاحه ، لأن ساكن السماء العالم بخفايا القلوب هو الذي يدافع عن بيته المقدس .

ونظر الملك حوله ، فأرتعب أكثر المحيطين به ، وأطال الملك نظراته ، فأوقف كل منافق أمام نفاقه ، ووضع كل واحد نفسه محل هليودورس الذي قاسى الأهوال ، وتمنى من كل قلبه أن تتاح له الفرصة ليرجع عن نفاقه ..

الفصل الثاني
سيد العهد ... ومختل العقل

ومهما كانت الآلام والأحزان التي يمرُّ بها شعب الله، فإن ولادة طفل تمثل حادثة سعيدة للغاية تلهب القلوب شوقاً للخلاص من العبودية والانطلاق نحو الحرية ، فكل ولد يُولَد يتوسم فيه أهله وعشيرته أن يكون هو المسيَّا المُخلِّص الذي سيخلص شعبه من العبودية المرة ، فهوذا الشعب قد تذلَّل بعبودية الكلدانيين الذين سبوه إلى أرض بابل سبعين عاماً ، وهدموا الهيكل والمذبح وأسوار أورشليم وأحرقوا أبوابها بالنار ، ومن الاستعباد الكلداني للاستعباد الفارسي ، ومنه للاستعمار اليوناني ، وقلَّما كانت تمر فترات راحة قليلة .

وكان يعيش في أورشليم الكاهن البار الغيور متاتياس من عائلة يوياريب من سلالة فينحاس من سبط لاوى ، ومن بيت متاتياس الكاهن رئيس عائلة " هاسمون " سرت الفرحة عارمة من بيت إلى بيت، فبيوت الكهنة في أورشليم متجاورة ، ومن بيوت الكهنة انتشرت الفرحة لبيوت الشعب، فاليوم هو اليوم الثامن لولادة الطفل الثالث لهذا الكاهن بعد أبنيه يوحنا وسمعان ،

ولكن للآن لم يكن له اسماً ، لأن الطفل اليهودي لا يأخذ اسماً ولا يُحتسب من شعب الله إلاَّ بالختان في اليوم الثامن وفي زاوية من زوايا البيت وقف متاتياس يحادث زوجته :

إنني سأدعو الطفل يهوذا .. يهوذا جرؤ أسد .. لعله يخلص إسرائيل من آلامه وظلم السنين .

الزوجة : عزيزي .. كنت أطمع في تسميته "مكابي".

متاتياس : وما معنى اسم " مكابي "

الزوجة : سمعت أنه يمثل الحروف الأولى من الآية الخالدة " من مثلك بين الآلهة يا رب " (خر١٥:١١) كما سمعت أن معناه مطرقة .

متاتياس : ليكن هو المطرقة التي تحطم رأس العدو ، وعلى كلٍ فإننا لن نختلف .. ندعوه يهوذا المكابي .

وأقبل سيد العهد الذي يقوم بعملية الختان والأولاد والبنات يلتفون حوله ، فحيثما توجه إلى حفلة ختان يزحمه الأولاد طمعاً في مشاركته التراتيل ، والحصول على نصيبهم من الشموع والحلوى ، وسأل سيد العهد متاتياس الكاهن عن الإسم المزمع أن يُسمي به أبنه ، فقال متاتياس : يهوذا، والمكابي .. أقصد يهوذا المكابي .

ألتف سيد العهد والأطفال والأهل حول الطفل، وأنشد سيد العهد نشيد الختان :

يا طفلي الصغير ... بالختان تحسب من بيت إيل ..

يا طفلي الصغير ... بالختان تصير حملاً في قطيع إسرائيل ..

يا طفلي الحبيب ... ليحرسك غبريال ..

يا طفلي الصغير ... أنت هو الكنز الجليل ..

يا طفلي الصغير ... لتفرح مع سوريال ورافائيل ..

كورال الأطفال :

وُلِـد لنــا ولــداً صغـيراً .. غداً يصبح بطلاً كبـيراً ..

يُختَــن فــي لحــم غرلتــه .. تفــرح بــه أمتـــه ..

سيد العهد : يا طفلي الصغير .. ليدعى إسمك يهوذا المكابي ..

يهوذا جرو أسد .. إبن كاهن الله العلي ..

لتكن مطرقة في يد الله .. يحطم من أذل شعبه الغالي..

كورال الأطفال:

وُلِـد لنــا ولــداً صغـيراً .. غداً يصبح بطلاً كبـيراً ..

يُختَــن فــي لحــم غرلتــه .. تفــرح بــه أمتـــه ..

نظر سيد العهد للطفل وهو يكشف ثيابه ، فــإذ عينــا الطفــل تلمعان ببريق يحمل معنى الطفولة فــي ملء براءتــها ، ومعنـــى

الرجولة في كمال نضجها، ومعنى الغيرة في تأججها ، ومد يده بالموس ، وإذا بالدم يقطر قطرات حمراء قانية تلمع فتعلن طريق الخلاص بالدم ، وطريق الجهاد المقدس بالدم أيضاً ، وتعجَّب سيد العهد في نفسه متسائلاً :

أتُرى هذا الصبي هو المسيا المنتظر ؟!

أهو النبي الآتي ؟!

أهو مخلص إسرائيل ؟!

أهو الكنز الجليل ؟!

لعل هذا يكون هكذا ..

ورغم أن متاتياس الكاهن أقام وليمة عظيمة إلاَّ أن سيد العهد لم يجلس ليأكل كعادته . بل أخذ موسه وانطلق إلى بيت قريب، وبحركة لا إرادية ترك الأولاد منزل متاتياس بعد أن حملوا الحلوى، والشموع وأسرعوا خلف سيد العهد ، فالأطعمة مهما كانت رائحتها نفاذة تسيل اللعاب إلاَّ أن هؤلاء الأولاد كانوا يفضلون الإلتفاف حول مولود جديد يحتفلون بانضمامه إلى شعب الله أكثر من متعتهم بألذ الأطعمة .

وقرع سيد العهد بيت " يوآب " الذي رقد منذ شهرين وهو في ريعان شبابه ، وفتحت سيدة عجوز الباب فدخل سيد العهد وفي

أذياله الأولاد ، ولم يكن بالبيت غير هذه السيدة العجوز الذي فقدت وحيدها " يوآب " ومعها زوجة ابنها وحفيدها الذي وُلِد منذ ثمانية أيام .

وشعر الأولاد بمقدار الفارق بين الفرحة الكبيرة التي عمت بيت متاتياس ، والفرحة الصغيرة التي شابتها الدموع والتي لا تكاد أن تنطلق في هذا البيت الحزين .. وضعوا المولود على منضدة عتيقة الأيام ، وكان حجم المولود يبدو أنه أكبر من سنة ، وارتسمت ابتسامة لطيفة على وجهه ، ولمعت عيناه الواسعتان ببريق ملائكي رائع ، فقالت الجدة : أنه يشبه المرحوم أبوه ، فقد كان منظره جميلاً ، وصاحب دعابة ولا يكف عن الضحك .

اتجهت الكنه إلى حماتها وسألتها : هل نسميه بذات الاسم ياأماه ؟

الجدة : لا أعرف ياابنتي .. هل كان أباه مصراً على تسميته بهذا الاسم ؟

سيد العهد : وما هو هذا الاسم ؟

صمتت الجدة وصمتت الأم حتى كرَّر سيد العهد سؤاله ثانية ، فقالت الأم : لقد كان أباه يقول أن هذه الدنيا لا تساوى شيئاً...أنها " بللم " ، وأنا إذا رزقني الله بابن فسأدعوه " بللم " وإذا كانت بنت

سأسميها " بللماية " .

سيد العهد : هل كان جاداً في قوله؟

الزوجة : لقد كان جاداً ومصراً على هذا، ورغم محاولاتي معه مرة ومرات إلاَّ أنه لم يتردد قط، وحتى وقت احتضاره قال لي " حبيبتي .. كنت أتمنى أن ترى عيناي ابني بللم .. ليباركه الله ولتهتمي به وتعيشي لأجله "

سيد العهد : وأنتما ما رأيكما في هذا الاسم ؟ لا تنسيا أن هذا الاسم قد يسبب له بعض المشاكل والمتاعب النفسية .

الزوجة : لا أستطيع أن اكسر طاعة زوجي حتى وأن كان الآن يرقد في قبره .

وانزوت الجدة تحبس أنفاسها وتجفّف دموعها التي سالت على وجنتيها بغزارة ، فهي لا تريد أن تفسد فرحة هذا اليوم بل أنها ترى في حفيدها " بللم " صورة أبنها " يوآب " .

سيد العهد : وليكن كذلك .

وبدأت طقوس الختان ، وأنشد الأولاد الأناشيد وكأن " بللم " يشاركهم فرحتهم ، وختن سيد العهد الطفل ، ووزعت الجدة الشموع الصغيرة والحلوى القليلة على الأولاد الذين لم يكفوا عن الغناء للمولود ذو الاسم الغريب " بللم " وعاد كل ولد إلى بيته

واسم بللم لا يفارق لسانه فعلمت بيوت كثيرة بولادة بللم .

ويوماً فيوماً كان " بللم " ينمو شيئاً فشيئاً، وكانت أم بللم كثيراً ما تذهب إلى بيت متاتياس الكاهن لتساعد زوجته في أعمالها المنزلية ، وكانت تأخذ معها طفلها بللم فتضعه بجوار المكابي فيلعبان معاً دون أن يؤذى أحدهما الآخر، وكل منهما يمسك بيد الآخر يضعها على فمه وكأنه يقبلها.

ومرت الأيام سريعاً وترك المكابي اللفة وبدأ يحبو على الأرض ثم أنتصب على قدميه محاولاً السير متوكئاً على ذراع أمه ثم أعتمد على نفسه وكان ينمو في القامة والقوة والغيرة والحماس ، وهكذا كان بللم غير أنه كان يفوق المكابي في حجمه حتى بدأ وكأنه الطفل العملاق .

ومنذ الطفولة المبكرة تعلق المكابي ببللم وتعلق بللم بالمكابي ، فالسعادة ترتسم على وجهيهما عندما يلتقيان ، وكأنهما توءمان ، وعندما شبَّ الاثنان كان يلعبان مع أقرانهما، فكان المكابي تغلب عليه الميول العسكرية ، فكل لعبه التي يهواها هي السيوف والخناجر والمنجنيقات ، وكل أحلامه تدور حول تحرير بلاده من الاستعمار اليوناني واضعاً أمام عينيه أبطال الإيمان مثل موسى ويشوع وشمشون وداود ، ورغم صغر سنه فأنه كان يهتم جداً

بالأحاديث التي تدور في منزله بين أبيه متاتياس وأصدقائه الكهنة وهم يجترون هموم الشعب المقهور ، ويتراءى أمامهم العصر الميساني كحلم بعيد المنال ، فكان يتعاطف معهم بكل جوارحه، وتمنى أن يقود حبيبه بللم وأصدقاءه المقربين ويهبّ ليحرّر أورشليم من أسرها وقيودها.

وفي ذات يوم زار أونياس رئيس الكهنة العظيم بيت متاتياس وتأمل ملياً في وجه المكابي وقال لأبيه : يامتاتياس أرى أنك تمتلك كنزاً عظيماً.

متاتياس : كلاّ سيدي أنني لست صاحب كنز ولا كنوز، ولكني أتمتع بنعمة الله أعظم من جميع كنوز الأرض.

أشار أونياس للمكابي الصبي الصغير وقال : حقاً أنها نعمة الله التي وهبت لك هذا الكنز العظيم .. فإنني أرى في وجهه المستقبل المشرق ، والحياة الحافلة بالجهاد ، والقائد الذي يقود شعبه نحو شمس الحرية .. وما أعظمه من كنز؟!

أما بللم فكانت له الآمال الحالمة في بيت مستقر وزوجة جميلة وأولاد مطيعين ، ولذلك كان يُقيم في لعبه البيوت من الأحجار الصغيرة ويزرع حولها الحدائق من الأغصان الصغيرة ، ويشكل طيور وحيوانات من طين الأرض ، فبللم يعيش مع أمه وجدته اللتان قلّما تتحدثان عن الأمور السياسية وآلام الحاضر وأحلام

المستقبل ، فاليوم بالنسبة لهم مثل الأمس والغد مثلهما... لا تطمعا في أي تغيير للأفضل ، وتريان أن العالم الذي تعيشان فيه لا يستوجب الصراع على الإطلاق ، ولذلك جاءت ميول بللم انعكاساً لميول أمه وجدته نحو الاستقرار ، وأكثر ما ربط بين المكابي وبللم هو محبتهما للصلاة ، وعشقهما لأبطال الإيمان ، ومحبتهما للهيكل والأعياد والمواسم والعبادات وأورشليم .

ومرت الأيام تباعاً تحمل في طياتها آلاماً وآمالاً تنمو وتتكاثر وتزداد، ولا سيما بعد موت أنطيوخس الثالث ، وتولى عرش سوريا ابنه أنطيوخس الرابع الذي دعوه بسبب تصرفاته الحمقاء " ابيفانس " أي " المختل العقل "، فقد أراد أن يوحّد جميع الشعوب التي تخضع له، فبدأ بتوحيد العبادة في أرجاء مملكته ، وأصدر أوامره لكل الرعية التابعة له لتعبد " زيوس اولمبوس " الذي يعبده الملك ، ولم يمثل هذا الأمر أدنى مشكلة بالنسبة لجميع الشعوب التي تخضع له باستثناء الأمناء من الشعب اليهودي الذين أحسوا بالطامة الكبرى والمصيبة العظمى التي تسقط على رأسهم ..

لقد تأثر كثير من هذا الشعب بعبادات أهل بابل عندما عاشوا في السبي سبعين عاماً ، وتأثروا بعبادات أهل فارس في ظل

الاستعمار الفارسي ، وتأثروا بعبادات اليونـــــان، حتـــى صــــارت حياتهم ضعيفة ، وأنزلق الكثيرون منهم إلى طاعة الملك، فبنـــــوا معابداً للأصنام ، ونسوا الشرائع الإلهيَّة ، وتشبهوا بالأمم في كـل شيء ، واصطبغوا بالصبغة اليونانية ، وأنحرف الشـــباب منــــهم فنظروا للختان على أنه عار .

ويوماً فيوماً لم يحتمل الكاهن الأميـــن متاتيــاس البقـــاء فـــي أورشليم فذهب وأقام في مودين تلك القرية الهادئة القائمة علــــى مرتفعات اليهودية غرب أورشليم .



الفصل الثالث
رؤساء مزيفون

أما أحداث أورشليم والهيكل والكاهن العظيم فجميعها كانت محل حوار بعض الكهنة الأمناء في بيت متاتياس بمودين ، وأيضاً محل طلباتهم وصلواتهم لكيما يتدخل إله إسرائيل ويحوّل مجرى الأمور للخير ، وجميع هذه الأحداث كانت تشعل قلب المكابي رغم صغر سنه يستوعبها ويتفاعل معها . بل كانت تحفر خطوطاً عميقة في حياته .

وفي أورشليم حدثت خيانة بشعة ، وإذ هي خيانة من أخ لأخ شقيقة فهي خيانة أبشع ، وإذ هي موجهة ضد رئيس الكهنة فهي أبشع وأبشع ... فماذا حدث؟

لقد ذهب يشوع شقيق أونياس الكاهن العظيم إلى أنطاكية إلى أنطيوخس الملك يتملقة :

أيها الملك العظيم أنطيوخس إننا نعيش في خير عظيم في ظل حمايتك وسماحتك ..أن شعب بني إسرائيل يسعد بطاعتك لولا قلة من الناس يُألّبون الشعب ضدك بسبب غيرتهم وحقدهم وشرهم .

أنطيوخس : إذاً لنقبض على هؤلاء الخبثاء ونقتلهم أو نودعهم السجن .. من هم يايشوع ؟

يشوع : لا أستطيع أن أخبر سيدي .

أنطيوخس : لماذا يايشوع ؟

يشوع : لأنهم أقرب الناس لي .

أنطيوخس (في دهشة) : من تقصد يايشوع .. هل أونياس الكاهن العظيم ؟ ... ليقتل .

يشوع : سيدي .. أرجوك أن تعفو عنه .. يكفي أن تقيلـــــه مـــن منصبه ، ولو سمحت لي بتولي شرف هذه الوظيفة فـــإنني أعـــد جلالتكم بالإخلاص ، كما أعدكم بإيفاء ٤٤٠ وزنة من الفضة.

أنطيوخس : ليكن لك هذا يايشوع .

يشوع : لو سمحتم لي جلالتكم بافتتاح جيمنزيم (صالة ألعاب) فـي أورشليم لإتاحة الفرصة للشباب لمزاولة الرياضة ، فإنني أستطيع أن أودى مائة وخمسين وزنة أخرى .

ووافق أنطيوخس يشوع ، وغيرَّ يشوع جلده اليهودي ، وحتــى اسمه غيَّره من يشوع إلى الاسم اليوناني " ياسون ".

وعاد ياسون إلى أورشليم بعد أن جمع لنفسه نحو ألف رجـل ، وطرد أخيه أونياس من رئاسة الكهنوت ، فترك الكـــاهن العظيـــم أورشليم وأنعزل في مكان هادئ بالقرب من أنطاكيـــة يتعبَّـد لله ، وكم كان حزن متاتياس والكهنـــة الأمناء بسبب هـــذه الأحـداث

المؤسفة ؟! . بل إنهم تركوا الخدمة تماماً في الـــهيكل لأن أحــد منهم لم يطق أن يعمل في ظل رئاسة ياسون الخائن . بينما كـانوا دائماً يزورون رجل الله أونياس ويطلبون صلواته من أجلهم .

وذبح ياسون كل من كان يعارضه ، وأفتتح صالــــة الألعـــاب ، ودعا شعبه وكهنته للتشبه بالأمم والإصطباغ بالصبغة اليونانيـــة ولبس القبعات ومزاولة الألعاب اليونانية التي يستدعي بعضــها أن يخلع الإنسان كل ملابسه ، ولجأ الشباب إلـــى إجــراء عمليـات جراحية لإخفاء الختان ، وأهمل الكهنة عبادة الرب ولجـأوا إلــى لعبة رمي القرص وألعاب القوى الجسدية ، وعندما أقبــل الملــك أنطيوخس لزيارة أورشليم إستقبله ياســـون واتباعــه بالــهتاف والمشاعل، ووصل الشر بياسون إلى درجة أنه أرسل بعض رجاله بثلاثمائة درهم فضة إلى أنطاكية لتقديم ذبيحة للإلـــه "هركليـــس" ولكن ضمير الرجال ضربهم، فأخبروا الملك بأن ياسون قد أرســل هذه الفضة للمساهمة في بناء سفن الملك.

وظل ياسون يقود الأمناء للذبح، ويتقدم الأشـــرار للهاويــة ، وظن في نفسه أنه ملك ومُلكه دائم إلى الأبد ، ولم يدرك انه يزرع الرياح وينبغي أن يحصد الزوابع ، وينبغي لـــه أن يجنــي ثمــار شجرة الخيانة التي زرعها ورعاها وتعهدها ، وكما فعل يُفعل به ،

وفعلاً هذا ما حدث .. فكيف حدث ؟

في ذات ليلة تحدث ياسون مع منلاوس شقيق سمعان وكيل الهيكل ، وهو أحد أتباعه وأكثر من يثق فيهم :

يامنلاوس إنني لا أستطيع أن أترك أورشليم يوماً واحداً لأن منصبي مهدَّد بالخطر ، ومعي بعض الأموال التي أريد أن أرسلها إلى جلالة الملك، وأنت تعلم إنني لا أثق في أحد قط مثلك .

منلاوس : منلاوس رهن إشارة سيدي .

ياسون : متى يمكنك التوجه إلى أنطاكية.

منلاوس: في الوقت الذي يحدده سيدي، ولو تريدني الآن أذهب إلى أخر العالم فإنني سأكون سعيداً بهذا.

ياسون : غداً تذهب إلى أنطاكية .. سأرسل معك عشرة جنود يكونون تحت أمرتك ويحرسونك .. أرجو أن تبلغ جلالة الملك باستتباب الأمن في أورشليم وكل اليهودية ، وإنني تحت أقدامه ليأمر عبده ياسون بما يشاء ، مع تقديري واحترامي ومحبتي وأخلاصي .

منلاوس : كل ما تأمرني به أفعله ياسيدي ... فقط لتصحبني صلواتك وتظلل عليَّ دعواتك وتحرسني بركاتك .

وجثا منلاوس أمام ياسون الذي وضع يده على رأسه وباركه :

لتكن عليك يامنلاوس بركة ياسون رئيس الكهنة العظيم ... لتذهب بسلام وتعود بسلام يابني الحبيب .

وأمام الملك أنطيوخس الرابع جثا منلاوس أمامه يبلغه برسالة ياسون بعد أن قلب فحواها :

سيدي الملك .. كم ألححتُ على سيدي ليرسل لك هذا المبلغ البسيط ؟! .. أنه لا يكف عن كنز الأموال ، وسلب محتويات الهيكل، والقتل والذبح حتى عمَّت الفوضى والاضطرابات أورشليم وكل اليهودية ، والجميع ناقمون على سيدي الملك بسبب حماقة هذا الرجل الذي يقيم من نفسه ملكاً على البلاد ، ولا يكِن لسيدي الملك أي نوع من الاحترام والوقار.

أنطيوخس : نهاية ياسون جاءت أمامي ... ليُذبح ذبحاً .

منلاوس : ليعفو سيدي الملك عن عبده ياسون . فقط ليترك رئاسة الكهنوت حتى يعود الأمن إلى البلاد ، وليختر سيدي رجلاً تقيّاً أميناً شريفاً مخلصاً لهذا المنصب الحساس جداً .

أنطيوخس : وأي رجل مخلص مثلك يامنلاوس ؟!

اذهب يامنلاوس أنت رئيس كهنة أورشليم .

منلاوس : أسمح لي ياسيدي أن أزيد عن المبلغ الذي تعهد به ياسون ثلاثمائة وزنة من الفضة ..

وعاد منلاوس إلى أورشليم كرئيس للكهنة رغم أنه لم يكن من بيت صاداق رئيس الكهنة ، ولا من بيت لاوى ، وشعر ياسون بأن الشر يحيق به ، فهرب إلى أرض عمون ولا سيما أنه شعر بتآمر جنوده ضده ، أما منلاوس فقد سار في طريق ياسون إذ تزعَّم حزب الطوبّيين الذي ينادي بإزالة الفوارق بين اليهود والأمم، وصبغ اليهود بالصبغة اليونانية ، وكان منلاوس منافقاً شرساً قاسي القلب كوحش ضارٍ في صورة إنسان.

ومرت الأيام وعجز منلاوس عن إيفاء تعهداته لأنطيوخس ، وذلك رغم إلحاح " ستراتس " رئيس قلعة أورشليم عليه، فاضطر "ستراتس" أن يشكو للملك تقاعس منلاوس الكاهن العظيم عن سداد ديونه، فأمر الملك الاثنين بالحضور إلى أنطاكية ، وسافر كل من ستراتس ومنلاوس إلى أنطاكية ، بينما كان أنطيوخس الملك في طرسوس ، فألتقي منلاوس بأندرونكس نائب الملك وأهداه بعض التحف التي كان قد سلبها من الهيكل .. تحف مصنوعة من الذهب غاية في الروعة والإبداع الفني . كما باع منلاوس بقية التحف والآنية المقدسة للفينيقيين وسلب قيمتها لنفسه.

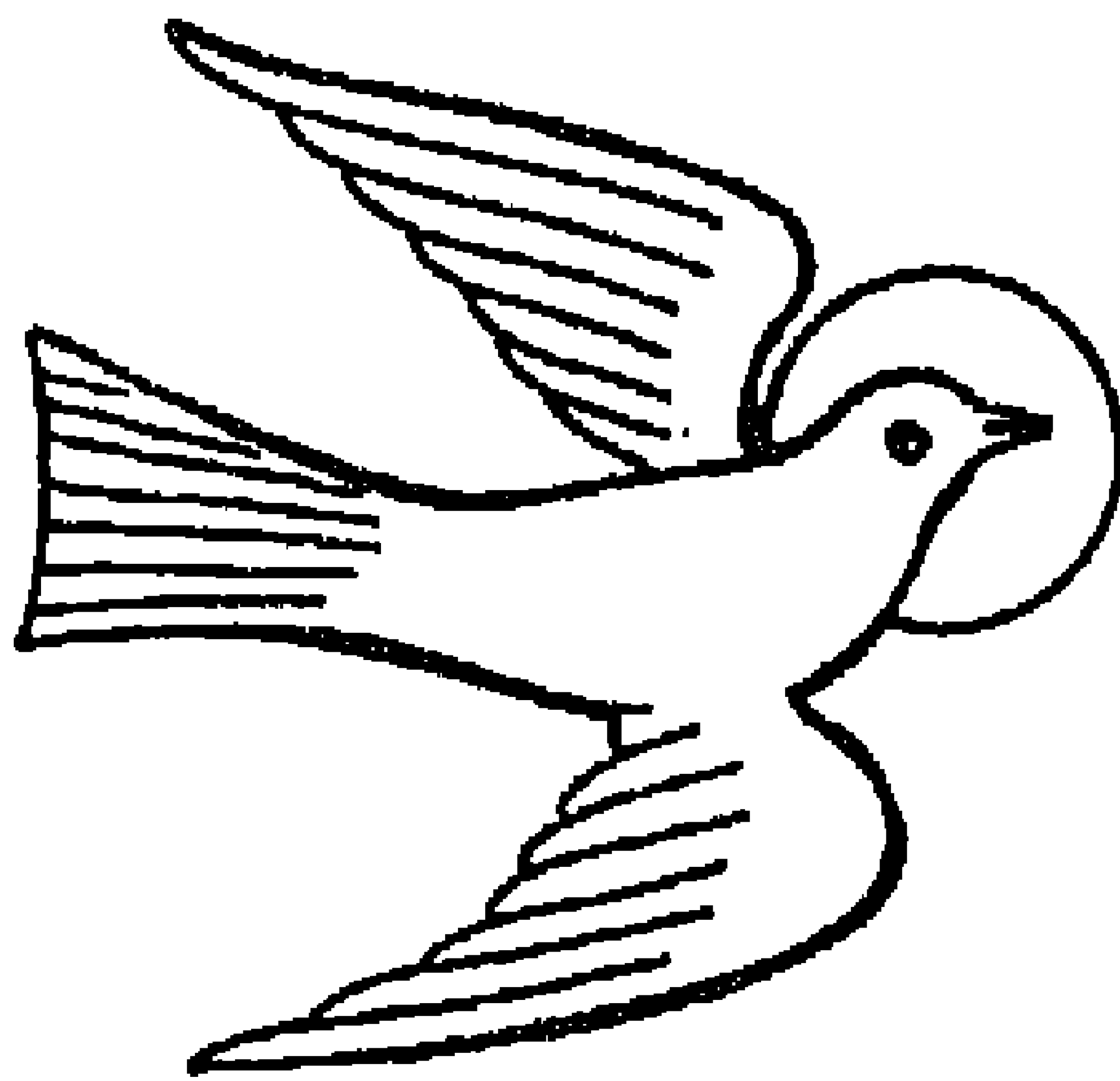
ولم يكتفِ منلاوس بشروره بل أنه إرتكب حماقة عظيمة إذ أوعز لاندرونكس بقتل أونياس رئيس الكهنة الشرعي الذي يتعبد

لله في مكان منعزل بجوار أنطاكية ، وأغرى منلاوس اندرونكس بالمال فانصاع له ، وهو لا يدرى مغبة عمله، وذهب الثعلب إلى بيت الأوز ، وخادع اندرونكس الشرير أونياس كاهن الله العلي، وطلب منه أن يخرج من عزلته إليه مُقسِماً له بالسلام والأمان، وما أن خرج الرجل الطيب حتى غرس الخائن خنجره في صدره ، ففاضت روح الكاهن العظيم الشرعي لتحكي لخالقها شر منلاوس وخيانة اندرونكس ، وصار حزناً عظيماً في إسرائيل ولا سيما لدى متاتياس والكهنة الأمناء ، وصنعوا مناحة كبيرة على أونياس وحملوه ودفنوه بكرامة كبيرة ، وعندما عاد الملك إلى أنطاكية وعلم ما كان وسمع أنين الأمناء ، تأثر جداً حتى أنه بكى على أونياس الذي ظُلِم في حياته ومماته ، وأصدر أوامره لرجاله بأن ينزعوا عن اندرونكس ملابسه الأرجوانية ، ويطوفون به المدينة بهذه الصورة المذرية ، ويقودونه إلى المكان الذي سفك فيه الدم الذكي ويسفكون دمه ، وفعلاً قُتِل اندرونكس جريرة طمعه وانصياعه للمشورة الشريرة.

وحدثت ثورة في أورشليم ضد جنود منلاوس وأتباعه الذين تسلحوا بالقوة الغاشمة ، تكبروا وتجبروا على الشعب المسكين الذي لم يحتمل أكثر من هذا ، فثار ثورة عارمة ، وأشتبك الشعب

الأعزل مع الجنود المسلحين ، وقابلوا السيوف والرماح بالأحجار والهراوات ، وكان الغيظ المتأجج في قلوب الناس أقوى من السيف البتار ، وغيرتهم النارية على هيكل رب الجنود أقوى من الموت ، وغضبهم العارم من قتل أونياس البار منحهم شجاعة أفزعت جنود ليسيماكس ففروا من أمامهم.

وأرسل شيوخ يهوذا ثلاثة رجال حكماء يرفعون الأمر لأنطيوخس الملك ويشكون له ظلم منلاوس ، ولكن الثعلب الماكر منلاوس كان أسرع منهم إذ استطاع بالرشوة أن يعوج القضاء ويصرف الملك عن الحق ، فأصدر الملك أحكاماً جائرة إذ برّر المجرم الأثيم وحكم على الأبرياء بالقتل والتعذيب ، وطُرِحت جثث الأبرار في أورشليم وخارجها ، ومن يجرؤ على دفنها ؟!



الفصل الرابع
جلبة في أورشليم

وظهرت آية عجيبة في سماء أورشليم أزعجت الجميع ، ولا سيما إنها استمرت أربعين ليلة ، ففي كل ليلة كان سكان أورشليم يبصرون فرساناً يركضون في سماء أورشليم ، يلبسون الدروع ، وفي أيديهم الرماح ، مع صوت جلبة الحرب من قرقعة السيوف ، وصوت السهام التي تصطدم بالأتراس ، وصوت رشق النبال ، فأدرك أهل المدينة أن بلاءاً عظيماً سيحيق بمدينتهم ، وفي مجلس مودين كانت التعليقات الآتية من الكهنة الأمناء :

قال أحدهم : لقد ذهب أنطيوخس في حملة إلى مصر ليسلب أغنامها ويضمها إلى سلطانه ، فربما يفشل الملك أنطيوخس في حملته على مصر ويأتي لينتقم منا.

قال آخر : ربما يعود إلى أورشليم ياسون في رأس جيش عظيم لينتقم من منلاوس .. فكلاهما سلب الكهنوت ، وكلاهما إبن لبليعال .

وقال ثالث : لعلها غضبة السماء ، على الخونة رؤساء الكهنة المزيفون ياسون الذي خان شقيقه الأمين أونياس ، ومنلاوس الذي خان صديقه ياسون ، وحرّض على قتل رئيس الكهنة

الشرعي أونياس .

وقال رابع : أخاف أن تكون هذه الرؤية هي إعلان لغضب الله. الذي سيحل بمقادسه .. هل يُسلّم بيته للأمم يدنسونه كما فعل أيام نبوخذ نصر .. أخشى أن يُسمعنا صوته " هوذا بيتكم يُــترك لكــم خراباً ".

وقال خامس: إن خطايانا تعاظمت جـــداً وشــرورنا تفــاقمت فصعدت إلى أذني رب الجنود ، فـــهل يــترك موضعــه المقـدس للخراب ؟!... حقاً لقد اضطربت المدينة المقدسة ، وهرب النــوم من عيون أولادها وامتلأت قلوبهم خوفاً ورعـــدة وحـيرة حتـى صاروا هم الأحياء الأموات ، ومع نهاية الأربعين يوماً هجم فجـأة على المدينة ياسون رئيس الكهنة والذي أغتصب المنصـــب مـن أخيه أونياس على رأس ألف مقاتل ، فألقى بالرجال الذين يراقبون من فوق الأسوار ، وفتك بكثير من رجال المدينة . أما منـــلاوس الشرير فاتجه إلى قلعة أورشليم يحتمي بجنود الملـــك ، وطفـق ياسون يذبح شعبه ويفترس عشيرته بلا وعي ، وبعد أن فعل مـــا فعل، ورغم كل ما فعل ، فأنه لم يقــدر أن يحكــم قبضتــه علــى المدينة، وعجز عن استرداد رئاسة الكهنوت ، فهرب إلـــى أرض عمون ، والدماء الذكية التي سفكها حركت " ارتاس " زعيم العرب

فاخذ يطارده من مدينة إلى مدينة حتى هرب إلـى أرض مصـر ، ومات هناك غير مأسوف عليه ، وإلى قبر آبائه لم يهبط .

وفي سنة ١٦٩ ق.م وبينما كان يواصـل أنطيوخـس الثـالث حملته الرابعة على مصر بنجاح ، كان " بومبلس ايناس " يجدّ في الإبحار من روما ، حاملاً أوامر مجلس الشيوخ إلى أنطيوخس بأن يكفّ يده عن مصر ، ويرجع إلى بلاده، ولا يعود إلى مصر ثانية ، فغضب الملك أنطيوخس جداً وصار يغلي كالمرجل إذ حرمته رومـا من جني ثمار حروبه الأربعة مع مصر، ولا طاقة له في مواجهـه روما، فأنصاع للأوامر صاغراً ، وفي طريق عودته إلى سوريا مرّ على أورشليم فصب جام غضبه عليها ، وأكثر القتل حتى صـارت مناحة عظيمة في أورشليم ، وعوضاً عن خسارته التي مُنى بـها راح ينهب هيكل سليمان ، فحمل مذبح الذهب والمنـارة الذهبيـة ومائدة خبز الوجوه والجامات والمجامر الذهبية بـل انـه نـزع الصفائح الذهبية التي تزين واجهة الهيكل وفي كـل هـذا كـان منلاوس دليلاً له ، وخلّف أنطيوخس فيلبس عميله واليـاً علـى أورشليم ، فكان غضب شديد جداً على إسرائيل لأنهم تركوا وصايا الله ونسوا شرائعه.

ولم يكـن كل ما حـدث إلى الآن من مصائب هو كل ما كانت

تشير إليه الرؤيا العجيبة ، ولكن عندما عاد أنطيوخس إلى انطاكية أرسل ابلونيوس عدو اليهود على رأس جيش مكوّن من ٢٢٠٠٠ مقاتل ، فأقبل إلى المدينة المقدسة وعسكر خارجها متظاهراً بالسلام حتى وثق به اليهود ، وعندما حلَّ السبت المقدس أمر جنوده بأعمال السيوف في الرقاب ، فدخلوا المدينة وذبحوا الآلاف وسلب الغنائم وباع الكثيرين من اليهود كعبيد وإماء ، وأقام قلعة " الاكرا "جنوب الهيكل لكيما تكون شوكة في حلق اليهود العابدين ، وأقام فيها رجاله المدججين بالسلاح.

وأيضاً لم تكن كل هذه المذابح نهاية المطاف إنما جاء شيخاً أثينياً من قبل الملك ، بمشورة شيطانية ففي يوم ٢٥ من شهر كسلو (ديسمبر) سنة ١٦٧ق.م أقام تمثالاً لإله اليونان " زيوس الأولمبي " في هيكل أورشليم ، وذبح الخنازير على مذبح رب الجنود ليضمن أنه لن يتقدم للهيكل إلاَّ من فقد إيمانه بإلهه، ودان بالولاء الكامل لإله الملك ، ولم يكتفِ الملك الشرير بهذا بل أصدر أوامره المشدَّدة بتمزيق وحرق كل ما تصل إليه الأيدي الآثمة من الأسفار المقدسة ، وكل من إحتفظ بورقة واحدة فإنه يُقتَل . أما من يتجرأ وينسخ ولو جزءاً بسيطة من هذه الأسفار فليُصلَب ، أما الأمناء فانهم غلَّفوا الأسفار المقدسة بأغلفة من الكتان النقي

ووضعوها في الجرار وطمروها بعيداً عن أعين رجال أنطيوخس ، وأيضاً بفضل الأبطال الأمناء نجت المكتبة العظيمة التي أنشأها نحميا من مذبحة أنطيوخس هذه ... أنها الكنوز العظيمة التي تحمل كلمة الحياة للإنسان.

ولكيما يُضعِف أنطيوخس الروح القومية أمر بوقف جميع الاحتفالات بالسبوت والمواسم والأعياد . ولكيما يلاشي الملك التمييز بين الشعب اليهودي والشعوب الأخرى أصدر أوامره بأن يكفَّ الشعب عن ختن أطفالهم ، وكل من يختن طفلاً يموت الاثنان المُختَن والمختون ، ولكيما يضمن الملك تنفيذ أوامره أقام رقباء يراقبون الشعب ويبلغون المسؤولين بكل مخالفة لأوامر الملك.

وفي ذات يوم أبلغ أحد الجواسيس فيلبس عميل أنطيوخس بأن هناك سيدتان تدعيان رفقة وراعوث، قامتا بختن طفليهما ، فأحضرهما فيلبس أمامه.

أنطيوخس : هل حقاً يارفقة ختنت طفلك ؟

رفقة : نعم .

أنطيوخس : وهل حقاً أنت ياراعوث هكذا ؟

راعوث : نعم .

أنطيوخس : ألم تعلما أن عملكما هذا مخالف للأوامر الملكيَّة ؟

رفقة وراعوث : نعم نعلم ذلك .

أنطيوخس : فلماذا خالفتما أوامر الملك ... هل إلهكما ينهيكما عن طاعة الملوك ؟

راعوث : كلاً..إننا نطيع الملك طالما أن أوامره لا تخالف وصايـــا إلهنا.

أنطيوخس : وإذا خالفت أوامري الوصية ؟

رفقة : ينبغي أن يطاع الله أكثر من الملوك والرؤســـاء والأبــاء والأمهات.

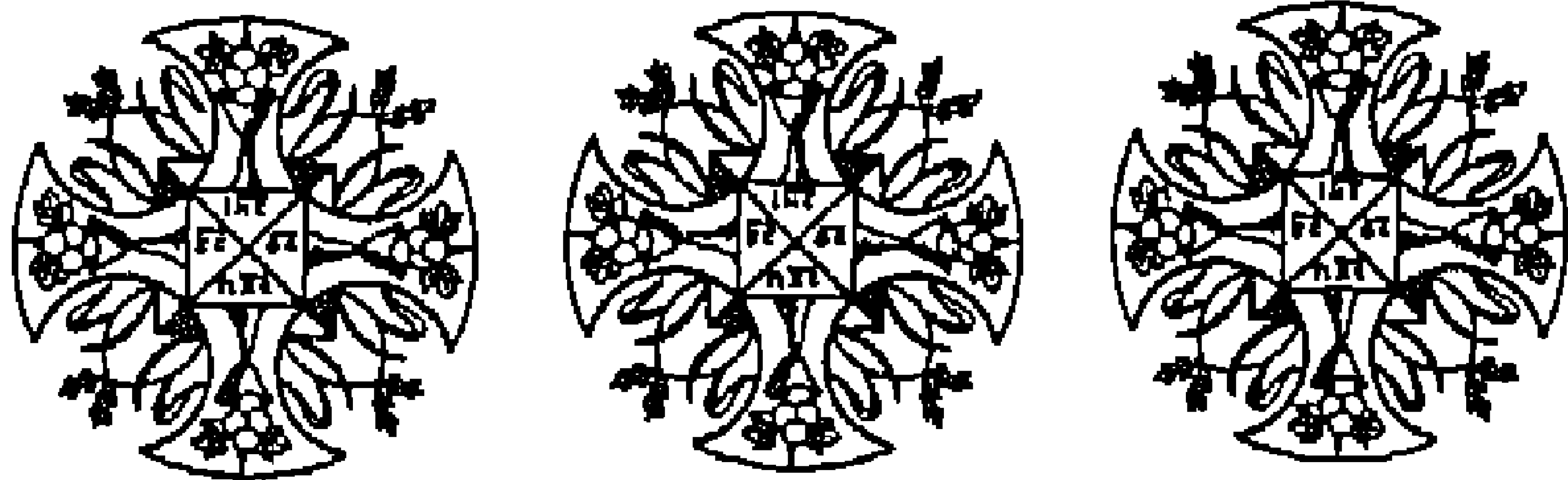
أنطيوخس : إذاً أنتما تستهزئان بي ... سأجعل منكما عبرة لمـــن يعتبر.

وأصدر أنطيوخس أوامره لجنوده بأن يعلق كل طفل على ثـديّ أمه ، ويطوفون بهما في المدنية علانيـــة ، ثـــم يـــأخذون رفقـــة وطفلها ويصعدوا بهما إلى سور أورشليم ويطرحونهما في الوادي السحيق . أما راعوث فلتحضن طفلها فوق كومة الأخشاب ويُلقـــى عليهما القار ويشعلونهما بالنار ، وهكذا حدث وهكذا تـــم ، ونـــال الأبرار أكاليل الشهادة والغار ...

أما الرجل متاتياس فلم يكف عن تحذير من حوله من الأمنـــاء قائلاً : هوذا نبوءة دانيال عن هذا الملك تتحقق حرفياً " وتقوم منه

(من الملك أنطيوخس) أذرع وتنجّس المقدس الحصين وتنزع المحرقة الدائمة وتجعل الرجس المُخرّب .. ويفعل الملك كإرادته ويرتفع ويتعظم على كل إله ويتكلم بأمور عجيبة على إله الآلهة (يهوه) وينجح في إتمام الغضب لأن المقضيّ به تُجرَى " (دا ١١ : ٣١، ٣٦)

أما منلاوس رئيس الكهنة الشرير فجاءت نهايته نهاية مروعة في أيام الملك أنطيوخس الخامس إذ تأكد من شره الذي استشرى، فأمر بأن يذهبوا به إلى بيرية ليُقتَل حسب عادة البلاد ، وكان في بيرية برجاً شاهقاً ارتفاعه خمسون ذراعاً ومملوءاً بالرماد ، فربطوا منلاوس في آلة مستديرة ، وتركوها فغاصت به إلى الأعماق فلم يجد الهواء الذي يستنشقه ، ولقي حتفه وسط الرماد لأنه احتقر رماد ذبائح الهيكل .



الفصل الخامس
وجع القلب

وما زال الأمناء في موديسن يتابعون الأحداث المأسوية ، فالكهنة الأمناء يلذ لهم الجلوس في بيت متاتياس المتسع ، بينما زوجته تجتهد في خدمة هؤلاء الأباء ، وأولاده يوحنا وسمعان والمكابي واليعازر ويوناثان كانوا يُسرّون بمثل هذه الجلسات، وأما المكابي فقد كان أشدهم تأثراً وانفعالاً بالأحداث ، وإذ بلغ تعلق بللم بالمكابي أشده ، إذ وهو صبي في الثانية عشر من عمره لم يمر عليه يوماً إلاَّ ويقطع الطريق من أورشليم إلى مودين ليلتقي بصديقه المكابي ثم يعود إلى بيته في وقت متأخر من الليل ، وإذ كانت جدته قد رقدت في الرب ولم يعد له غير أمه، فأقترح متاتياس على هذه الأم أن تأتي مع إبنها بللم وتسكن في إحدى حجرات البيت الكثيرة ، فوافقته الأم على الفور خوفاً على إبنها من مخاطر الطريق من مودين إلى أورشليم ..

وكم كانت سعادة كل من المكابي وبللم بإقامتهما معاً في بيت واحد، فكانا يلعبان مع أقرانهما ، والمكابي كعادته يقسم أصدقاءه فرقتين أحدهما تمثل اليونانيين والأخرى تمثل أبطال يهوذا ، فتظل

الفرقتان تتصارعان إلى أن تنتصر أحدهما ولابد أن تنتصر فرقه الأبطال التي يقودها هو على فرقة الجنود اليونانيين . أما بللم فقد أحبه الجميع لخفة ظله ، وهو لا يكف عن مداعباته وقفشاته اللطيفة ، فهو إنسان طيب القلب لا يهتم بأمور ذي الحياة وكأنه يعيش في كوكب آخر ، ولا يرى في ذي الحياة إلاً مثلما كان يرى أباه إنها " بللم "، ورغم أن أصدقائه كانوا يداعبونه بدعوته " العملاق الأخضر " بسبب محبته للسلام والزروع والأشجار وخياله الغني إلاّ أنه هو كان يفضل دعوته بالاسم الذي اختاره له أبوه " بللم ".

وجاء إلى مودين رجل يوناني شريف يشتغل بالمال والسياسة ، وهو من المقربين للحكام بل للملك أيضاً ويدعى " هوميروس " ، فأشترى منزلاً متسعاً بجوار منزل متاتياس مفضلاً الإقامة في هذه القرية الهادئة عن الإقامة في أورشليم حيث المشاحنات والمصادمات بين اليهود واليونانيين ، وكان يقضي معظم وقته في التجارة والسياسة بأورشليم . أما زوجته فكانت تصرف جلَّ اهتمامها بنفسها وحياتها الخاصة، وكان لهما من الأولاد بنتاً وولداً، فالابنة " جنفياف " قد حباها الله جمالاً بارعاً وروحاً مرحة وإقبالاً على الحياة بقلب طيب ومحبة للكل ، وكان عليها أن تحتمل

ثقالة أخيها الأصغر " جافى " الذي كان كثيراً ما يتقمص دور رب الأسرة محاولاً فرض سيطرته عليها، ولا سيما أنه لم يكن له من الأصدقاء من يشاركه ألعابه ، لأن كل سكان القرية من اليهود الذين ينظر إليهم جافى باحتقار زائد.

أما جنفياف فقد نجحت في أن يكون لها صديقات كثيرات من الفتيات اليهوديات اللاتي يحبونها وتحبهم ، وكثيراً ما يلعبنَّ معاً ويجلسنَ يتسامرنّ فتسر وتفرح بحكاياتهن عن الخليقة، والطوفان، والأباء إبراهيم وإسحق و يعقوب ، ورحلة شعب الله في مصر وشق بحر سُوف بعصا موسى ، ونزول المن والسلوى من السماء ، ويشوع وسقوط أسوار أريحا بدون قتال ، وصموئيل وجدعون وشمشون وشاول وداود وسليمان ..الخ.ولكم تمنت جنفياف أن تكون إبنة لإبراهيم.

وأيضاً كان المكابي مثار إعجاب وحديث بعض الفتيات ، فيتحدثنَّ عن خصاله الحميدة وشجاعته النادرة وعضلاته المفتولة ومحبته لبللم العملاق الأخضر ، ويتنبئن عن مستقبله الحافل ، فتعلقت جنفياف به وتمنت لو تكسن رفيقة حياته في جهاده وصراعه من أجل إحقاق الحق ، ووضعت في قلبها أن تتحدث إليه رغم إعتراف جميع الفتيات بفشلهن في الوصول إلى قلب

المكابي ، وفي كل مرة كانت تراه كانت تهابـــه وتخشـــاه فيُعقَــد لسانها ولا تقوى على الكلام ، إلى أن تحيَّنـــت إحــدى الفــرص والتقت عيناها بعينيه فغامرت وسألته بكلمات متلعثمـــة وصـــوت خجول عن إحدى صديقاتها ، أما هو فأجابها بشمم وكبرياء إجابة مقتضبة وقد أشاح الوجه عنها، فلم تحظَ بما كـانت تحلـم بـــه ، وعندما كررت المحاولة بعد عدة أيام للمرة الثانيـــة قــرَّرت أن لا تحدثه قط لأنه تجاهلها هذه المرة ولم يرد عليها جواباً ..إن قلـــب المكابي كان موصداً في وجه الهوى ..لأنه كان يشعر أن الله قـــد أرسله إلى هذا العالم لرسالة معينة وهي أن يحمل أثقـــال شـــعبه ويشق طريقه نحو فجر الحرية .. أنه الكنز المغلق، فاغتاظت منه جداً وماج قلبها بموجات الغيـــظ الـــذي تغالبـــه موجـــات الحـــب والإعجاب ، ولكن كان قرارها النهائي بأنها لن تقف في طريقـــه مرة أخرى ، ولن يخاطب لسانها لسانه قط .

وإذ كان بللم قد أكتسب الكثير من صفات المكـــابي ، فـــأحبت جنفياف المكابي الذي يعيش في أعماق بللم ، ورغم أن الفتيـــات كن يتندرنَّ على العملاق الأخضر، وضخامة جسمه وقوة عضلاتــه مع بساطة الأطفال التي كان يتمتع بها ، فإن جنفيـــاف رأت فيـــه الفتى الطيب القلب الحلو اللسان، وعندما كانت تسأله عن إحـــدى

صديقاتها كان يتباسط معها في الإجابة ويفتح أمامها باب الحديث عارضاً عليها خدماته . أما جنفياف فلم تجد صعوبة في النفاذ إلى قلبه بحلو حديثها وجمالها البارع وضحكاتها التي تحاكى أغاني العصافير وكلماتها الناعمة الناعسة ، وكلما التقاها بللم كان قلبه يطير فرحاً ويسعد بها أيما سعادة ، ولكنه بعد أن يعود إلى نفسه بعد نهاية اللقاء فأنه يحزن ويئن ويغتم ويكتئب ويرى أنه يرتكب حماقة وخيانة لإلهه إذ كيف يلتقي وهو بللم ابن إبراهيم بجنفياف اليونانية ، ومما كان يزيد آلامه تبكيت المكابي له على صداقته هذه مع فتاة يونانية مهما كانت نيتها بيضاء وصداقتها بريئة ، فهذا حرام حرام حرام ، وفي إحدى اللقاءات إذ تمشى بللم مع جنفياف بعيداً عن أعين الناس ، وتشابكت أيديهما فكم كانت سعادته ونشوته وشعر كأن العالم كله بين أيديه، ولكن بعد أن عاد إلى بيته حزن وأكتئب وشعر أنه دخل إلى دائرة الموت وأغلقت عليه .. لقد إهتزت مملكته وضاقت نفسه فأخذ يبكي مثل طفل، وطلب الموت لنفسه بدموع سخينة ونفس مرة حتى شعر قلبه يضطرب ويرتجف، وكأنه يريد أن يهرب ويعتذر عن أداء وظيفته.

وكلما نوى بللم أن يكون لقاءه بجنفياف اللقاء الأخير، وهو من طريق وهي من طريق ، فهي إلى طريق الأمم تذهب وهو إلى

طريق السماء يصعد. ثم يجلس معها بعيداً عن الأعين ، فإذ بـــها تأثره بحلو حديثها وضحكاتها التي تحاكي أغاني الطيور والـبراءة ترتسم على وجهها البشوش .. بل أنها تأثره أكثر فـأكثر عندمـا تشكو له ظروفها وأحوالها وإنصراف أبيها عنها، وقسوة أخيـــها جافى عليها ، وأنها ليست على وفاق مع أمها التي لا تفهمــها ولا تفكر إلاَّ في نفسها. ثم تحدثه عن إعجابها بإله إســـرائيل وأنـــها تصدق كل حكايات أبطال الإيمان، وتحلم بيوماً يأتي عليها تصـــير فيه إبنة لإبراهيم على أنها لا تجرؤ أن تعلن هذه الرغبـــة أمـــام ذويها، فربما عذَّبوها، وربما قتلوها وربما أحرقوها بالنار إذ كيف تتهوَّد إبنة هوميروس العظيم ، وهكذا عرف بللم الألم والدمـــوع والمعاناة ، التي ما بعدها معاناة والضيقة النفسية ، ومع ذلك فقـد إجتهد لكيما يبدو أنه يعيش طبيعياً كما كان مـــن قبـل ، وحــاول الاحتفاظ بخفة ظله، ولكن على كلٍ فلم تعد الحيــاة بالنســبة لـــه " بللم " كما كان يتصوَّرها من قبل وراثة عن أبيه يوآب .



الفصل السادس
من ليهوه فليتبعني

وفي أحد أيام سنة ١٦٧ق.م وصلت أخبار إلى موديـــــن ، وإذ بسكانها يخرجون للقاء قافلة بقيادة أبلس تتجه نحوهم ، وأغـــرب ما في القافلة تلك المركبة الفخمة التي تجرهـــــا الخيـــول الســـتة وينتصب فوقها تمثال رخامي ضخم لكبير الإلهة " جوبيتر " يمثـــل آية رفيعة من الفن ينبهر كل من يراه وفي ساحة مودين حطـــت القافلة الرحال ، ونصب الجنود الخيام ، وجلـــس " أبلـــس" علـــى عرشه المرتفع يحيط به الأفارقة الأشداء يروّحون عنه، وقد أقيــم التمثال على مرتفعة وأمامه بُنى مذبح لإصعاد الذبــــائح وإحـــراق البخور وتقديم العبادة لجوبيتر كبير الآلهة ، ولأجل هذا الغـــــرض جمع أبلس كل سكان القرية ليعلنوا ولاءهم للملك بعبادة ما يعبـد ، وإذ كان رجل الله متاتياس الكاهن هو المتقدم في هـــذه القريـــة ، لذلك قرَّبه إليه أبلس وخاطبه بمودة كبيرة ورفق وصوت يفيـــض بالحب الكاذب والعذوبة الغاشة :

يامتاتياس أيها الرجل العظيم ..هوذا أنت الأول في أخوتـك . هلا تتفضل بتقديم حبات قليلة من البخور لإلهنا العظيم جوبيتر ؟..

أريدك أن تكون أهلاً لنوال الكرامات الملكية والهبات الثمينة.

متاتياس : مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد.

أبلس : وهذا هو إلهنا جوبيتر الذي ينبغي لـــه المجـد والإكــرام والعظمة والسلطان ... فلماذا ترفض السجود له؟

متاتياس: لن أسجد إلاَّ لإلهنا الحي يهوه الكائن في كل زمان ومكان.

أبلس : أنت لا ترى يهوه ، فلماذا لا تعبـــد يـــهوه فـــي صـــورة جوبيتر. ثم كم عدد الذين يعبدون يهوه بجـــوار الذيـــن يعبـــدون جوبيتر.. أن الأرض كلها تسجد لكبير الآلهة جوبيتر ، فهل جميـــع هذه الشعوب مخطئة وتستحق النار الأبدية ؟!

متاتياس : لو أطاعت كل الأمم وكل الشعوب أوامر الملك ، ولـــو إرتد كل إنسان يهودي عن إيمان آبائه ، فأنا وأبنائي وأخوتي لـــن نفعل هذا أبداً .. حاشا لنا أن نترك شريعة الله وأحكامه.

وبينما الحديث يجرى بين أبلس ومتاتياس ، وإذ بنبرة أبلـــس ترتفع شيئاً فشيئاً حتى إنه إنقلب من إنســـان يتظـــاهر بالـــهدوء والوداعة إلى إنسان فظ شرس يريد أن يلتهم متاتياس وكل شعبه، وكانت الجموع الواقفة تراقب جيداً هذه المحاكمة .. تُـــرى هـــل سيستشهد متاتياس وأولاده اليوم على مذبح الحب الإلهي ؟! لقـــد إشرأبت أعناق الجموع وكأن على رؤوسهم الطـــير ولا أحد يدرى

ماذا ستكون النهاية ؟!

وقطع هذا الموقف المتوتر للغاية إنسان يهودي موتـــور حلـــم بالكرامة والهبات الملكيَّة ، فوثب من مكانه واندفع يشق طريقـــه بين الجموع رافعاً يديه صارخاً: أنا... أنا ســـأقدم ذبيحـــة للإلـــه جوبيتر ..

وإذ بالغيرة الفنحاسية المقدَّسة التي تملأ قلب متاتياس تدفعـــه كما يدفع المدفع طلقته ، وإذ بالرجل الموتور المرأى يخرّ صريعـــاً والدم ينفجر من قلبه ويفيض... لقد كان خنجر متاتياس أسرع من أرجل هذا الإنسان الملعون الذي رغب أن يكون الأول في مخالفـــة الشريعة.

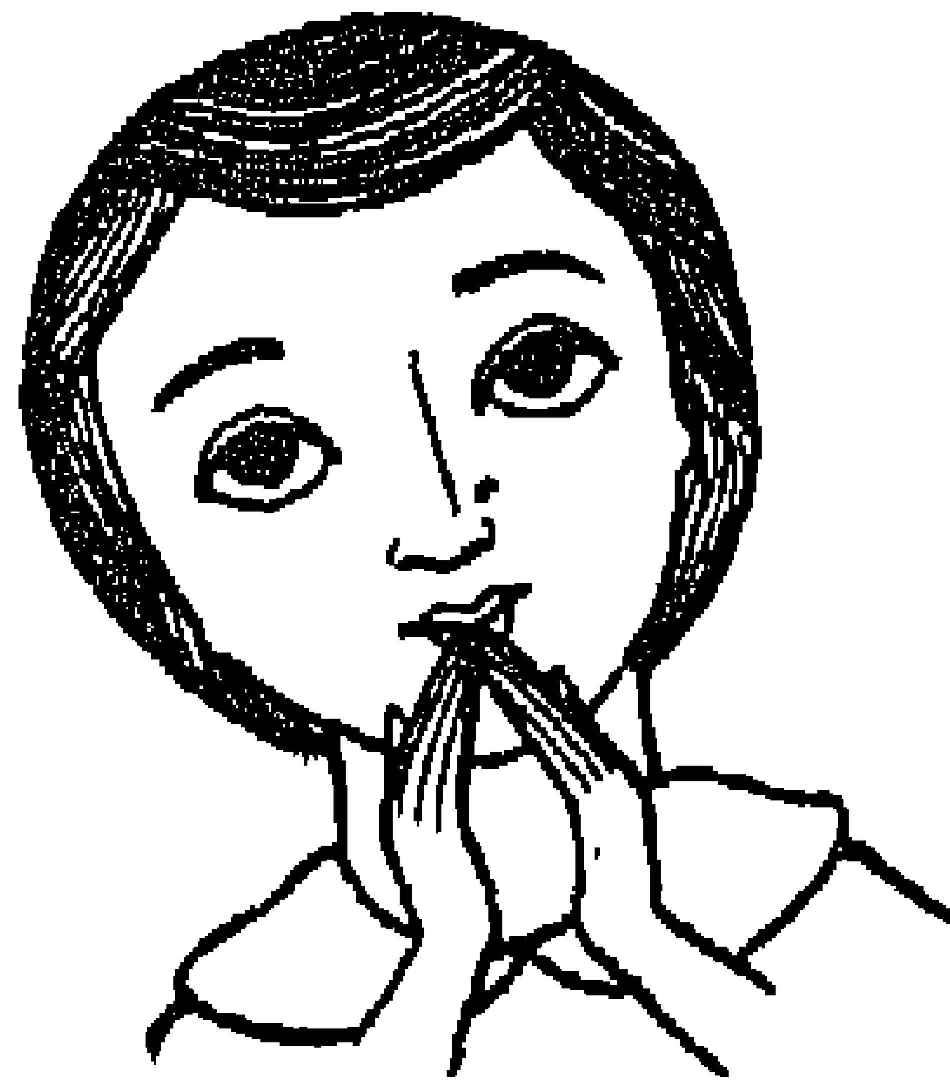
ولم يكتف متاتياس بهذا ، إنما إندفع كاسد زائر يزمجر علـــى فريسته ، وأولاده وبللم حوله ، وأطاح بالقائد أبلس فـــي الـــهواء فهرب من هول الصدمة وفرّ العبيد الأشداء ، وفي لحظات تحـــول أبلس المتغطرس إلى أشلاء تتطاير هنا وهناك أثارت الحمية فـــي قلوب اليهود الواقفين ، الذين هبوا للدفاع عـــن شـــريعتهم، ففـــرّ الجنود من أمامهم ، ومن سقط من الجند فإنه سقط ســـقطة دون قومة ، وإذ بالإله جوبيتر يعجز عن الدفاع عن نفسه فيتحول إلـــى شظايا صغيرة متناثرة هنـــا وهناك ، والمذبح الوثني قد تحول إلى

تراب، وهرب الحرس لأنهم افتقروا للهدف النبيل الـــذي يدفعـــهم لسفك دمائهم وتقديم أنفسهم على مذبحه.

وكم كانت فرحة سكان القرية بهذه النصرة العجيبة، فباركوا إله إسرائيل ، وفي غمرة فرحتهم نسوا النقمة الملكية التي ستحل بهم سريعاً ، ما عدا متاتياس الرجل الحكيـــم الـــذي أطلـــق صرختـــه المدوية:

من ليهوه فليتبعني ... إلى الجبال يـــا يـــهوذا ... مـــن ليـــهوه فليتبعني ... إلى الجبال يا يهوذا ..

وتبعه سريعاً أبناءه وأخوته وبللم ومئات آخرين صعدوا إلـــى الجبال يبحثون عن الكهوف والمغارات وشقوق الأرض ليعيشـــوا فيها حياة غاية في القسوة ، ومع ذلك فأن أعدادهم كانت تـــتزايد يوماً فيوماً. أما المدينة المقدسة فقـــد صـــارت مـــأوى للغربـــاء والأشرار ، وتحولت الأعياد إلى مناحات والسبوت إلى عار.



الفصل الثاني
يوم السبت الحزين

وفي ذات يوم استطاع ضباط أنطيوخس بعيونهم التي بثوها في كل مكان من رصد عدة مواقع لثوار يهوذا في أحضان الجبال ، وفي يوم سبت حاصروا هذه الأماكن وطلبوا من الثوار أن يخرجوا لكيما يفعلوا كأمر الملك فيحيوا، فخرجوا ورفضوا جميعهم أوامر الملك بعبادة الأوثان ، فأعملت قوات أنطيوخس السيوف في أبطال يهوذا، وذبحوهم ذبح النعاج وهم مقيدون بالوصية الرابعة " أذكر يوم السبت لتقدسه " (خر ٢٠:٨).. لم يشهر بطل واحد سيفه دفاعاً عن نفسه ولم يلق أحد في وجوههم بخنجر لئلا يدنس السبت إنما قالوا :

" لنمت جميعاً في استقامتنا والسماء والأرض شاهدتان لنا بأنكم تهلكوننا ظلماً " (١مك٢:٣٧)

فقد كان تقديسهم ليوم السبت أقوى كثيراً من محبتهم للحياة ، ولم يمر السبت الحزين إلاَّ وكان هناك ألف ذبيحة حيَّة قُدِمت على مذبح الوصية الإلهية من الرجال والنساء والأولاد ومالت شمس السبت الحزين للمغيب ورحل جنود الطاغية وقد أهتز كيانهم من

إخلاص هؤلاء الأبطال لإلههم ، وجاءت بعض الجماعات الأخرى من الكهوف يوارون الأجساد بالتراب، وقد صنعوا مناحة عظيمة ، وكان متاتياس في موقف لا يحسد عليه ، فهو الذي دعي هؤلاء للخروج معه للكفاح المسلح ، وأحس بالمسؤولية تأكله أكلاً.

وناح متاتياس وأصحابه على إخوتهم نوحاً عظيماً ، وبعد أن دفنوا ضحايا هذه المذبحة الرهيبة جلسوا على المنحدرات الجبلية يتشاورون فقال البعض :

لو رتب الأعداء لنا مثل هذه المذابح السبتية فلن تمر عدة سبوت حتى يقتلعوننا من جذورنا ويطوحون بنا في وادي الموت.

وقال البعض : من الأفضل أن نموت أمناء من أن نحيا ونكسر السبت ..

وقال آخرون : وهل يعتبر الدفاع عن النفس يوم السبت كسر للوصية؟

وهل صُنِع الإنسان من أجل السبت أم أن السبت من أجل الإنسان؟

وانتهى النقاش والجدال إلى التصدي لكل من يهاجمهم في يوم سبت ، وأصدر متاتياس قراره بأن " لا يُحرَّم حمل السلاح والقتال في سبيل الحق يوم السبت المقدس ".

وبعد هذا جاء إليهم جميع الذين عانوا من ظلم أنطيوخس

واعوانه، فأزداد عددهم وأشتد عودهم وتحصنوا بالجبال وكـــانوا من ذوي البأس الذين يقتادون على الحشائش التـــي تنبـت فـي الجبال من مياه الأمطار ، واعتادوا على شظف العيش، ولا يكفون عن الصلوات والطلبات والتضرعات أمام إله السماء ليتحنَّن الـرب الإله عليهم ، ويرفع غضبه عنهم، ويعود فيبسط حمايته عليـهم ، وأخذوا يطلبون الرحمة للمدينة المقدسة التي كادت أن تتلاشى من الوجود ، وللأطفال الأبرياء الذين تُسفك دماءهم يوماً فيوماً لأنـهم خُتنوا بحسب الشريعة.

وفي إحدى الإجتماعات التي كان يعقدها متاتياس لرجالـــه دار الحوار الآتي :

متاتياس : إننا ياإخوتي نعيش مشتتين في كهوف الجبال نقاســي شظف العيش وندرة المياه وقد تركنا بيوتنـا وزراعتنـا ، بينمـا العدو يدنِّس المدينة المقدَّسة ، والطاغية لا يكـف عـن اجتـذاب شعب الله تحت الوعد والوعيد... فإلى متى نقف مكتوفي الأيدي؟!

سمعان : الليلة سأنقض مثل الصاعقة على معسكر للعدو في بيـت شورة ... في وقت لا يتوقعه أحد سأهجم عليهم .. من يريـــد أن يتبعني فليتبعني .

يوناثان : وأنـا سأنتقـم من اليهود المرتديـن الذين جبنوا أمام

الموت ، وارتدوا عن عبادة الله الحي طالبين أن يحيوا أياماً قليلة مع ذلِّ وعارٍ أبدي.

المكابي : سأذهب الليلة مع من يبيع حياته من أجل إلهه.. سنتجه إلى القرى التي أقيمت فيها الأصنام ومذابح الأوثان، فلن تشرق عليها شمس الصباح .. سنحطمها ، وأن كانت هي آلهة فلتدافع عن نفسها.

واتجه يهوذا نحو بللم قائلاً : هل تأتي معي ياصاحبي ؟

بللم : وهل أقدر أن أتخلى عنك ؟ .. وُلِدنا معاً فنحيا معاً ونموت معاً.

يوحنا : أما أنا فإني سأتسل مع بعض الرجال في هدوء وصمت الليل إلى بيوت شعب الله ، وما نجده من أطفال غُلفٍ سنختنهمَ حتى متى شبوا يدركون أنهم مِلك للرب وليسوا أبناءاً لبليعال .. لنختن كل طفل طبقاً للشريعة الإلهية حتى ولو خالفنا أوامر الملك الأرضي ، وخير لنا أن تنتهي حياتنا اليوم ونرث السماء من أن نعيش دهراً ونلقى في جهنم النار.

وهكذا تحدث الأبطال ، وتكوّنت مجموعات الثوار ، وسعت كل مجموعة إلى هدفها ، وأنتشر الأبطال بطول البلاد وعرضها يهدمون مذابح الأوثان ويحطمون التماثيل والأصنام ويختنون

الأطفال ، حتى وقع رعبهم على الجميع . أما زوجة متاتياس فقد شاركت الأبطال شظف العيش مع بعض العجائز من النسوة اللاتي يخدمنْ الأبطال ، وكلما خرج الرجال للقتال لا تكف الأم عن الصلاة من أجلهم بدموع حتى يعودوا إليها سالمين .

ولم يمض على متاتياس في هذه الجبال أكثر من عام ، ورغم تقدم سنه إلاّ أنه لم يفقد قط نضارته ولا بصره ولا بصيرته ولا نشاطه.. كانت نظراته الثاقبة تحمل العمق في حياته الروحية وشركته القوية مع رب الجنود، وفي يوم شعر متاتياس بأن وقت الرحيل قد آن، فجمع أولاده وأوصاهم قائلاً :

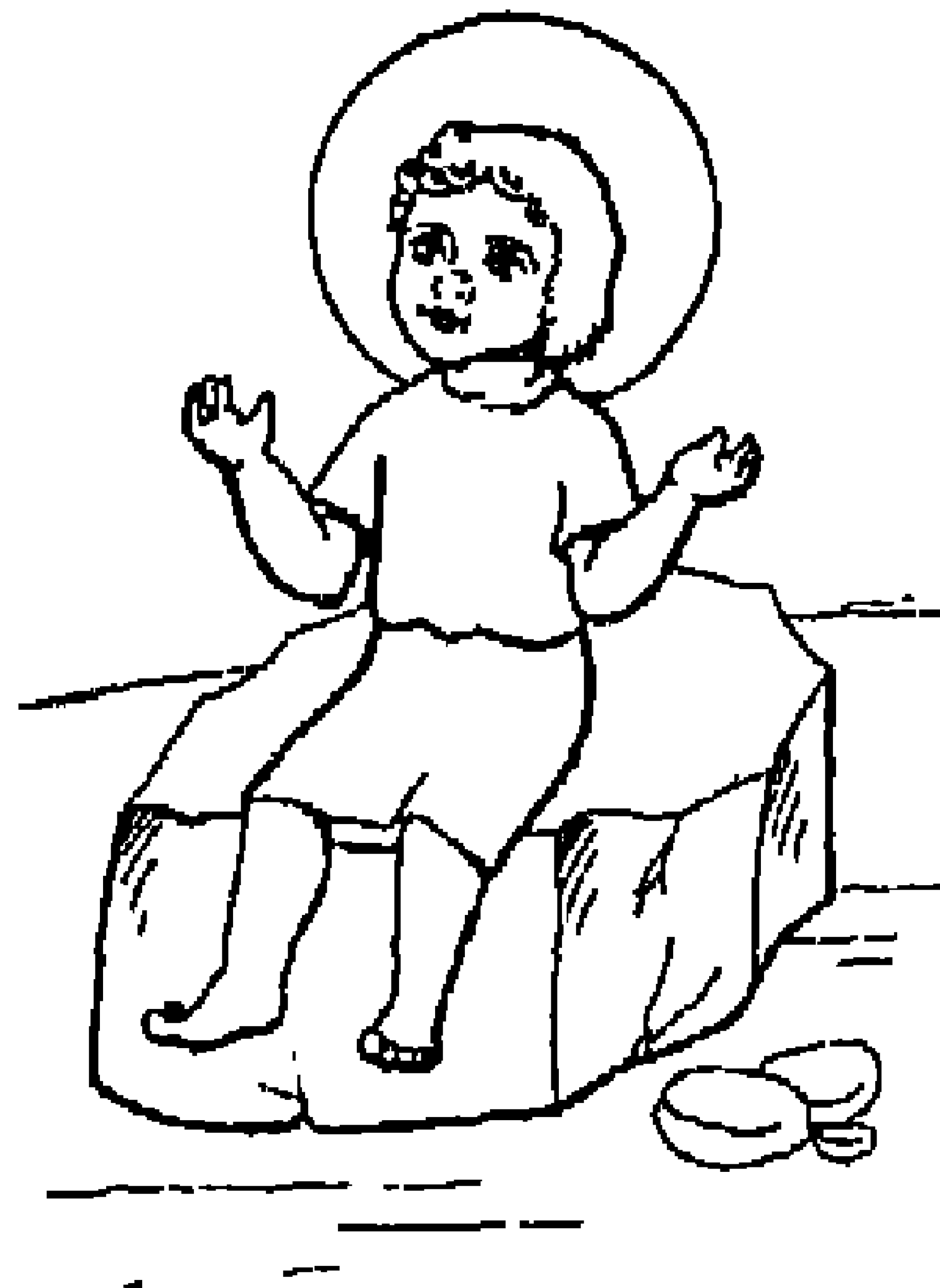
يا أولادي وأخوتي الأحباء .. اذكروا أبونا إبراهيم وطاعته للرب وبركة الرب له..اذكروا يوسف الصديق وأمانته وطهارته وكيف أقامه الرب سيداً في أرض مصر .. اذكروا موسى وكيف حمل شعب الله على كتفيه وعبر بهم من الموت للحياة.. اذكروا فينحاس وغيرته التي ردت سخط الرب عن شعبه وقد سرَّ الله به وأعطاه عهد الكهنوت الأبدي .. اذكروا كالب بن يفنه ويشوع بن نون وشهادتهما للحق وإيمانهما..اذكروا إيليا النبي وغيرته وإيمانه وكيف أغلق أبواب السماء وكيف رُفع للسماء حيّاً ؟ ..

اذكروا الفتية الثلاث وكيف خلصوا من أتون النـــار ؟.. ودانيـال وكيف خلص من جب الأسود ؟...

لا تخشوا ياأولادي كلام أنطيوخس الملك ، فإنه اليـوم يرتفـع وغداً ينحط في التراب وتضمحل كل أفكاره وأوامره ..

استمعوا إلى مشورة أخيكم سمعان لأنه رجل مشـورة حسـنة ، والتفوا حول أخيكم يهوذا المكابي الكنز المختوم لأنه صاحب بأس لتحاربوا حروب الرب.. ليبارككم إلـه السـماء وليحرسـكم رب الجنود "

وبعد أن باركهم أمال رأسه وأنضم إلى آبائه، فصـار سـمعان رجل المشورة لدى المكابيّين ، بينما قاد يهوذا المكـابي حـروب الرب ببسالة عظيمة وشجاعة متناهية وذكاء خارق .



الفصل الثامن
أنـين المساكـين

وكان شارون أحد قادة جيش الملك أنطيوخس وطمع في المجد فاغوى نفسه بالهجوم على يهوذا المكابي وقومه ، وجـهز لـهذا جيشاً عظيماً ، وجاء إلى عقبة بيت حورون ، وعندما رأى رجال يهوذا هذا الجيش خافوا جداً وقال أحدهم للمكابي : كيف نستطيع ونحن نفر قليل أن نهزم هذا الجم الغفير من جنود شارون ؟!

وقال آخر : لقد انهارت قوانا من الصوم اليوم كله.

وقال ثالث : لعلنا لو استسلمنا لهم لأحيونا .

وفي كل هذا الإضطراب وقف بللم مستسلماً وكان الأمر لا يعنيه، وقد اعتاد الجميع على التلامس مع السلام النابع من أعماقه والطمأنينة التي تظلل حياته..فهو في سلام دائم لا يخشى الموت أبداً.إنما في هذه المرة كان ينتاب بللم شعور غريب... أنه يشتهي الموت ليخلصه من مشكلة حبه الغير شرعي لجنفياف الأمميّة.

ووقف المكابي ورفع صوته بكلماته الذهبية : يإخوتي ليست النصرة بكثرة الجنود وقوة أسلحتهم . إنما النصرة هي من عند

رب الجنود القادر أن يخلص سواء بالكثير أو بالقليل ، ومن يقدر أن ينسى جدعون الذي غلب بثلثمائة رجل جيشاً كاملاً ؟! هؤلاء الجنود المغيرون علينا لم نسئ إليهم في شئ ، فهم المعتدون المتكبرون والرب يقاوم المستكبرين .. جاءوا لكيما يقتلونا ويسبوا نساءنا ويسلبوا ما لنا ، أما نحن فإننا نحارب من أجل الدفاع عن أنفسنا ، فلابد أن الرب سيكسرهم أمام وجوهنا..لا تخافوهم ولا ترهبوهم ولا ترتعبوا منهم .

ونشبت المعركة بين شارون وجنوده والمكابي ورجاله ، وكان للمكابي خفة النسور وقوة الأسود وسرعة النمور يضرب ويضارب في كل مكان بسرعة لا يباريه فيها أحد أما العملاق الأخضر بللم ، فأنه كان يلازمه ملازمة ظله يحميه من الطعنات الخلفية، وفي كل هذا لا يقتل أحداً ، وطوال المعركة يردد في قلبه آية واحدة وهي " نجني من الدماء يا الله إله خلاصي " وكلما إقترب مقترب من يهوذا ليطعنه من الخلف فإذ بالعملاق يبرز له حتى يكاد يلاصقه صارخاً في وجهه " أنا بللم " وقبل أن يفوق من صدمته يكون قد هوى بكعب سيفه على أم رأسه فيسقطه مغشياً عليه دون أن يقتله ، وعندما يفوق هذا المصاب من إغمائه بالكاد يزحف على بطنه حتى يخرج من أرض المعركة شاكراً من كل

قلبه بللم العملاق صاحب السيف الأبيض والقلب الأبيض . لقـــد كان " بللم " مثار إعجاب الكل حتى الأولاد الصغار وعمت شـهرته الآفاق، فكلما إحتد ولد صغير على صديقه يصرخ في وجهه أنـــا " بللم " بل أن الأطفال إذ داعبوا كلابهم فإنـــهم يصرخـون فيـهم وربما بصوت متلعثم أنا " بللم " فتقف الكلاب مبـــهورة ، فيظـن هؤلاء الأطفال إنهم يملكون قوة سحرية بواسطة هذا الاسم البللم.

وصدق ظن المكابي إذ أعطاه الرب بحسـب إيمانـه ، وكسـر الخصم عنه ، فقتلوا نحو ثمانمائة رجـــلاً مـن جيـش شـارون وتشتتت البقية ، وبعد هذا الانتصار اكتسب يهوذا المكـابي ثقـة شعبه وزاد عدد الوافدين إليه وتعظم إسم يهوذا بين الأمم ..أمـــا أمه سيدة الصلاة فلم تكف عن الجهاد في الأصوام والصلوات مـن أجله، فمنذ أن يخرج مع رجاله وهي تنتصب للصلاة لرب السماء بدموع غزيرة حتى يعود إليها سالماً ، وقد اشـترطت علـى إلـه إسرائيل أن لا يأخذه قبل أن يأخذها هي أولاً . كما أن المكابي كان محباً لأمه باراً بها .

ثم سمع يهوذا أنين أخوته الساكنين في بلاد أدوم وعمـــون ، فقد أرادت هذه الشعوب إبادة الأقليات اليهودية التي تسـكن فـي أراضيها ، فقام يهوذا المكابي وبللم يلازمه ملازمة ظله بالـهجوم

على أرض أدوم وضرب الكثيرين من نسل عيسو ، وعندما لجأوا إلى أبراجهم الحصينة أقام عليهم المكابي بعض رجاله لحراستهم، وسعى هو مع رجاله نحو العمونيين ، ولكن بعض رجال المكابي أعمتهم محبة المال، فقبلوا رشوة من أصحاب الأبراج مقدارها سبعين ألف درهم وأطلقوهم ، فلم يشفق المكابي على هؤلاء الرجال الذين خانوا الأمانة بل حاكمهم وحكم عليهم بالموت، ثم إصطحب معه كل بني يعقوب الساكنين في أدوم مع نسائهم وأولادهم وأسكنهم في اليهودية ، وهكذا فعل مع العمونيين.

وما أن عاد المكابي إلى اليهودية حتى وجد رسلاً قادمين من أرض جلعاد برسالة يقولون له : ياكنز قمران ...الآن هلمَّ وأنقذنا من أيدي أهل جلعاد فقد سقط منا عدد كبير ، وجميع أخوتنا الذين في أرض طوب قد قُتلوا وسُبيت نساؤهم وأولادهم وسُلِبت أمتعتهم وهلك منهم نحو ألف رجل.

وما كاد المكابي ينتهي من قراءة رسالة أهل جلعاد ، وإذ برسل من الجليل قد جاءوا بثياب ممزقة يستصرخون المكابي قائلين : قد اجتمعوا علينا من بطلمايس وصور وصيدا وكل جليل الأمم ليبيدونا .. فأسرع وأنقذنا .

فجمع المكابي أخوته وكثير من رجاله للتشاور في هذه

المصائب التي حلت بأخوتهم ، والمخاطر التي تهددهم ولا سيما أنهم يسمعون عن أخبار تحركات لابوليناريوس قائد جيش أنطيوخس للهجوم عليهم وإبادتهم ، فهل يظلون قابعين في أماكنهم يدافعون عن أنفسهم أم أنهم يذهبون إلى جلعاد لإنقاذ أخوتهم أم يذهبون إلى الجليل ؟! .. وبعد مشاورات إستقر الأمر على إنقاذ أخوتهم لأنهم في حالة حرجة أكثر منهم ، ولذلك خرج سمعان على رأس ثلاثة آلاف قاصداً الجليل ، وخرج يهوذا هكذا قاصداً جلعاد. أما الرجل " بللم " فلم يفارق يهوذا المكابي قط إنما كان يلازمه ملازمة ظله بلا فراق ، وخلفوا في اليهودية يوسف بن زكريا وعزريا بعد أن أوصوهما بأن لا يحاربوا أحداً من الأمم حتى يعودوا إليهم.

سار كل جيش نحو مقصده ، وكالعادة كان الجيش كله يُقدِم صوماً وتذللاً أمام الله ويصطفون للصلاة وطلب المعونة الإلهية، وأنجح الرب الإله كل من سمعان ويهوذا المكابي في مهمته ، وعاد سمعان من الجليل مع كل العبرانيين الساكنين هناك ونسائهم وأولادهم وكل ما لهم ...عادوا إلى اليهودية بسرور عظيم ، وأيضاً المكابي جمع كل بني يعقوب من أرض جلعاد صغيرهم وكبيرهم ونساءهم وأولادهم مع أمتعتهم جيشاً عظيماً جداً

وأنصرف بهم إلى أرض يهوذا، فصعدوا جبل صـــــهيون بســرور عظيم وابتهاج قلب .

وبعد عودة يهوذا وسمعان بنجاح وفرح غار منهما يوسف بـن زكريا وعزريا ، وقالوا لنصنع لأنفسنا إسماً ، وخرجوا لقتال الأمم بلا داعٍ لهذا، وخرج معهم بعض الكهنة المتحمسين، ولم يصغـوا إلى صوت يهوذا المكابي وأخوته ، وأرادوا أن يصطحبوا العمـلاق الأخضر بللم ، ولكنه رفض لأن مكانه حيث المكابي قائم كما أنــه كان يدبر لزيارة مودين حيث جنفيـــاف وأمـــه . فلقـــاهم القـــائد جرجياس وقتل منهم نحو ألف رجل وسقط الكهنـــة فـــي ميــدان الوغى فكانت مصيبة في يعقوب.

وبعد هذا تشجع تيموثاوس أحد قادة أنطيوخس وأراد أن يوجـه الضربة القاضية ليهوذا المكابي وقومه ، فجمع جيشاً عظيماً، وقد رصدت أعين يهوذا كل هذه التحركات الضخمة ، فجمـــع يـــهوذا جميع رجاله ، وتمنطقوا بالسلاح وتضرعوا إلـــى إلـــه إسـرائيل لينجيهم وينقذهم من أيدي أعدائهم كما سبق ونجاهم في المعـارك الماضية من يد شارون وغيره ، وبعد أن أمضوا الليل كلـــه فـــي الصلاة ، ومع ضوء الفجر وقف المكابي يحفزهم على القتال مـــن أجل نسائهم وأولادهم ، ومع طلوع الشمس ألتحم الفريقان أحدهما

يتسلح بالإيمان القوي القادر على هدم الحصون ونقـل الجبـال ، والآخر يتسلح بكثرة العدد وقوة السلاح .. تشابك الطرفان وعلت جلبة الحرب وأصوات الأبواق والصراخ يشق عنان السماء .

وكان من المفروض أن يبدو بللم كعادته مبتسماً سعيداً يفيض وجهه بالبشر حتى في أشد الحالات خطراً، فهو الإنسان الـذي لا يخشى شيئاً ، ولكن ما بال حالك وقد تبدّل يا بللـم ؟! ومـا بـال الأوضاع انقلبت معك رأساً على عقب يا بللم ؟! وما بال الحياة لـم تعد بالنسبة لك " بللم " إنما صارت حملاً ثقيلاً وظلاً كئيباً ووجـع قلب متصل لا هوادة فيه ؟!!

لقد كان ظل جنفياف بابتسامتها وضحكاتها وكلماتـها تزلـزل كيانه كل كيانه... عجباً حتى في أرض المعركة يابللم ؟!! .. نعـم ، وهذا ما قاده إلى الفشل في عمله ، فلم يعد هو الملاك الحـارس للمكابي، ولم يعد صالحاً حتى لحراسة نفسه، فتعرض لضربة أحـد اللئام حتى كادت تنتزع رأسه من جسده ، ولكن رحمة الله لـه ، وبسبب طوله وسرعته الخاطفة فقد تعرض لجـرح عميـق فـي وجهه فقط، وقد نجى من الموت المحقق ، والأمر العجيب أنه بعد أن كان يشعر برغبة عارمة في الموت فأن شعوره انقلـب إلـى رغبة عارمة في الحياة من أجل جنفياف ، فأنه لا يريد أن يمـوت

ويتركها ، فما كان منه إلاّ أنه إنسحب من أرض المعركة ، والأمر العجيب إنه أخذ يغطي فشله بالتفاخر أمام نفسه قائلاً : ما هذا الجرح الغائر في وجهي إلاّ جرح الحب... إنه علامة حبي لك ياحبيبتي... لقد تعرضت للموت بسببك ياجنفيافي .

وبينما كان ينسحب العملاق الأخضر من أرض المعركة ودمه القاني يقطر بغزارة فإذ به يلمح في سماء المعركة خمسة فرسان، واثنان منهم يكتنفان المكابي ويردان عنه السهام والحراب ... وقف مشدوهاً وهو يقول : فعلاً أن الله قادر على العمل وليس في حاجة إلينا ... حقاً ليس وراء الخطية إلاّ وجع القلب والموت الأبدي.ارحمنا يارب كعظيم رحمتك.

أما الفرسان الثلاثة فإنهم أخذوا يقاتلون في صفوف يهوذا، فأنهزم تيموثاوس وجيشه شر هزيمة ، وهرب تيموثاوس مع بعض رجاله إلى حصن جازر ، وكان أهل الحصن يثقون في مناعة حصنهم فأخذوا يجدفون على يهوذا المكابي وإلهه، ويرشقونهم بالحجارة ويتوعدونهم بالانتقام لمدة أربعة أيام ، وفي اليوم الخامس اتقدت الغيرة في شباب يهوذا فوضعوا السلالم على أسوار الحصن ، وبسرعة صعد الفتيان على السلالم يحملون المشاعل ويلقونها داخل الحصن بينما الرجال من أسفل يحملون

الكتل الخشبية الضخمة يدقون بها الأبواب حتـــى فتحـــت وســـقط الحصن ، وبحثوا عن تيموثاوس فوجدوه مختفياً في الحصن مـــع أخيه كيراوس فقتلوهما مع من معهما ، وعـــاد يـــهوذا المكـــابي ورجاله إلى أرضهم .

وما أن وصل المكابي إلى أخوته حتى سمع بما فعله أهل يافـــا مع اليهود القلائل الذين يعيشون بينهم . إذ دعوهـــم بمكـــر إلـــى فسحة بحرية فأركبوهم القوارب هم ونساؤهم وأولادهم ، وعندمـــا دخلت القوارب إلى عمق البحر أغرقوها بمن فيها وكان عددهـــم نحو مائتي نفس فماتوا جميعاً ، فلما بلغ الخبر يـــهوذا المكـــابي حزن جداً وصلى لله ، وقام هو ورجاله وبللم في أذياله وانطلقـــوا ليلاً إلى يافا، فأحرقوا الميناء بما فيه من سفن وقوارب على الشط وفي المياه. كما اتجهوا إلى " يمنيا " وأحرقوا أسطولها ، فارتفعت ألسنة النيران حتى شاهدها أهل أورشليم من على بعد أربعين كيلو متراً . غير أن بعض جنود يهوذا قد أعجبـــوا ببعـــض التمـــاثيل الصغيرة التي يعبدها أهل يمنيا وأخفوها داخـــل ثيابـــهم ، وفـــي عودتهم إشتبكوا في حرب مع أهل عدلام فقُتِل هـــؤلاء الرجـــال ، وعندما حمل رجال يهوذا جثثهم لدفنها في مقابر آبائهم اكتشـــفوا هذه التماثيل التي أخفوها بين طيات ثيابهم كنوع مـــن التحـــف ،

وليس كنوع من العبادة لأنهم لو آمنوا بها ما كانوا قد حاربوا في صفوف يهوذا ، وبعد دفن هؤلاء الرجال أخذ يهوذا المكابي الرجل النبيل يعظ رجاله بأن يتوخوا الحكمة ويبتعدوا عن كل شرٍ وشبه شر ، وجمعوا ألفي درهم من الفضة وأرسلوها إلى أورشليم لتقديم ذبيحة خطية عن أخوتهم لعل الله يرحمهم ويغفر لهم خطيتهم التي فعلوها بدون قصد .

ثم إتجه يهوذا المكابي إلى بيت شان يستفسر عن أحوال أخوته، فشهد اليهود لأهل بيت شان ومعاملتهم الحسنة لهم ، ولا سيما في أزمنة الضيق ، فشكر يهوذا أهل بيت شان على حسن صنيعهم مع أخوته الصغار.

وأخيراً عاد المكابي ورجاله إلى كهوفهم بجبال قمران يستعدون لهجوم ابولونيوس بجيش جرار عليهم ، وسعى بللم نحو أمه في مودين ، واضعاً في نفسه أن يضع حداً لعلاقته مع جنفياف التي كادت تقضى عليه ، وإذ هما يلتقيان ، وإذ به ينسى الهدف الذي جاء لأجله ، ويحكى لها عن جرح الحب الذي أصابه وشوّه وجهه، وإذ هي تغدق عليه فيض من حبها ، وإذ به يعود مرتبطاً بها أكثر فأكثر، ويمشى أسيراً مقيداً ، وقد كلّت أرادته وكل قوته ، فجلس على قمة من قمم قمران وهو يخجل أن يرفع نظره للسماء

غير أن دموعه كانت تنساب وهو يطرق الصخر بقبضته ، وفي صمته هذا وحركة يده يريد أن يقول لأبيه السماوي " أفتح لي أبواب رحمتك ... سوّيها من عندك ".. وبينما كان يجلس على قمة الجبل كان يشعر أنه مُلقى في القاع وكل هذه الجبال جاثمة على صدره ، فيكاد يختنق إذ لا يجد نسمة يستنشقها فترد نفسه إلى حياته الأولى ، وإذ به يؤلف ترنيمته التي تعبر عن حاله ويرنمها بصوت أسيف :

✢أين هي حكمتي؟ هل رجائي ضل عني؟
صرتُ أسير أفكاري وانحلت كل أوصالي

القرار

✢فتراءف يارب علينا فتراءف يارب علينا
وارحمنا وارحمنا بحسب رحمتك

✢من في العاصفِ رقاده تنقذ من الوهدة حياته
يا رجاء من زال رجاءه يا معين من ضاع عونه

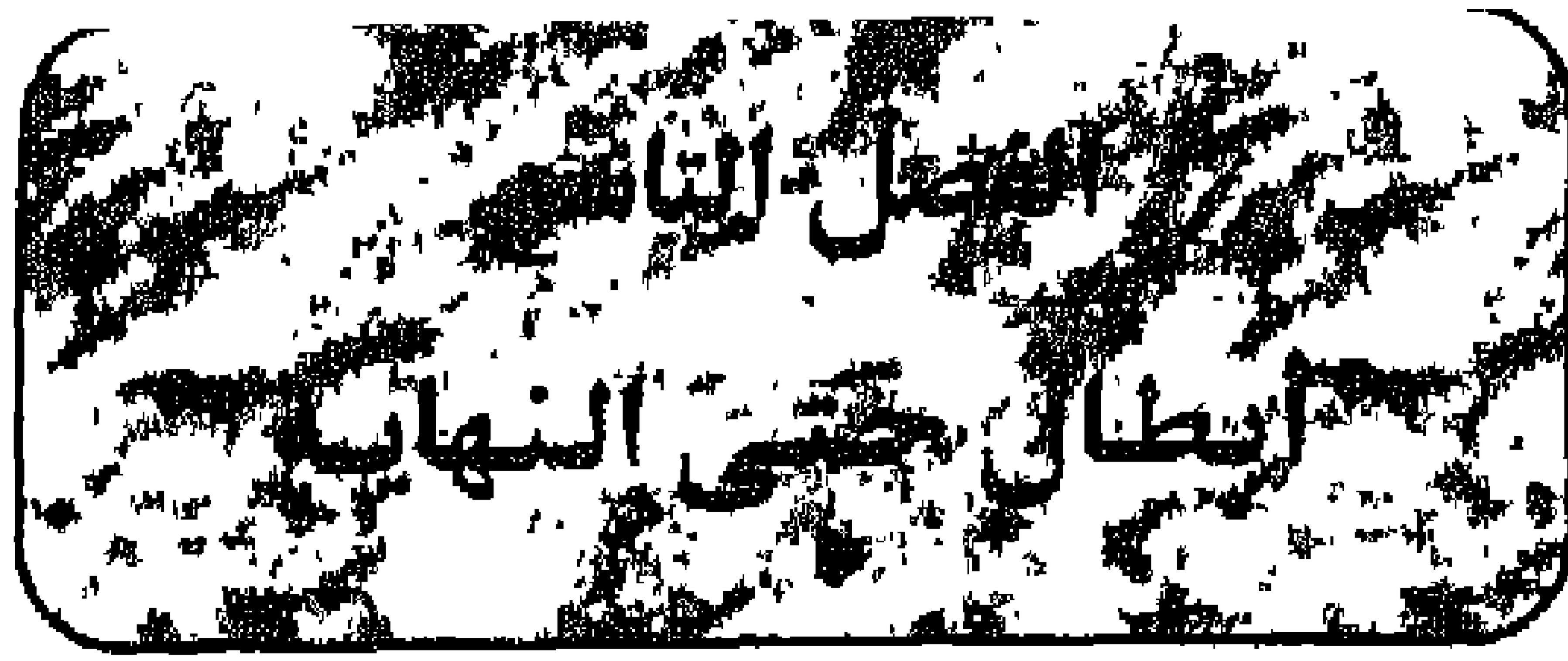
✢هوذا أشواك فكري هوذا عريّ وخبزيّ
مدّ يمينك وأقتنصني قبل أن يفوت وقتي

✢هوذا دموع قلبي هوذا أنين روحي
اعن ضعفي واسندني تؤدبني وترشدني

✤أنت من قبري تقيمني   من مماتي تصعد حياتي
فك قيودي حل اسري   رد لي سبي نفسي
✤افتح لي أبي أحضانك   طيب لي كل جروحي
دع دموعي تغسل   بدمك كل ذنوبي

والأمر الغريب أن المكابي أعجب بهذه الترنيمة أيما إعجاب ، فصار يرددها ، وقد رأى فيها أنها تعبير صادق وأمين عن صراع النفس البشرية مع الله فبغض النظر عن تنوع ضعفاتها وسقطاتها، وسريعا ما صارت هذه الترنيمة هي ترنيمة قمران حتى أطلقوا عليها " صراع فوق جبال قمران " وصارت مصدر تعزية لكل نفس قد أضناها عدو الخير.





علم أنطيوخس الملك بما جرى في أرض اليهودية ، وبلغه ما وصل إليه يهوذا المكابي من سطوة ، وانكسار شارون وموت تيموثاوس ، فجاء في عيد الفصح إلى أورشليم ليتأكد أن عبادة يهوه قد أوقفت تماماً ، ولا يوجد إنسان واحد في أورشليم أو خارجها يجرؤ أن يقدم خروف الفصح، ولا توجد أسرة واحدة تجرؤ أن تغادر بيتها لتعيّد عيد المظال ، وعِلم عملاءه المنافقين بمجيئه ، وأرادوا أن يدخلوا السرور إلى قلبه ، لينالوا الهبات والعطايا الملكيَّة ، فجهزوا له حفلة ماجنة ، ولكيما يجعلوها أكثر إثارة وضعوا أعينهم على بعض اليهود الضعفاء الذين اصطبغوا بالصبغة اليونانية ليقدموا العبادة للإله جوبيتر.

وفي ساحة أورشليم ، وبينما تميل الشمس للمغيب وفدت الجموع للساحة تباعاً تنتابها مشاعراً متضاربة ، فمنهم من هو فرح بلقاء الملك وذهب ليهلل مع المهللين ، ومنهم من هو ناقم على الملك ويتمنى من كل قلبه لو أن الله يخسف به الأرض خسفاً، أو يحدث له ما حدث منذ سنوات قليلة لهوليوديورس ،

ومنهم من أتى متشوقاً يريد أن يرى كل ما هو جديد . أما الذين تخلفوا عن الحضور من الأمناء فقد غادروا أورشليم إلى القرى المحيطة بعيداً عن أعين الملك .

وجلس الملك على عرشه الذي أحضرته له الحاشية معها من بلاد سوريا ، وكان العرش يمثل آية من الفن والروعة والعظمة ، فقد صُنع من أجود أنواع الخشب ، وطُلي كله بالذهب حتى متى سقطت عليه أشعة الشمس الذهبية أو نور اللهب يبرق ببريق عجيب مما يثير الرهبة في القلوب . وكان الملك يرتدي ثوباً سماوياً ويتشح برداء أرجواني، وعلى وسطه منطقة من ذهب، وفوق رأسه يعلو التاج المُرصَّع بالجواهر الكريمة التي تلمع في كل اتجاه ، ومع هذا فإن كل هذه المظاهر لم تفلح في إخفاء ملامح الغضب التي بدت على وجه أنطيوخس ، وحتى لو حاول إخفاءها بابتسامات باهته وضحكات صفراء ، فهو دائماً متعطش للدماء يبحث عن السعادة في كل وقت ولا يجدها.

وأمام العرش نُصيب مذبحاً يعلوه تمثال للإله جوبيتر، ومن أمامه تصاعد دخان البخور كثيفاً ، وحول العرش جلس الرؤساء والقادة ورجال البلاط يحيط بهم العبيد يروِّحون لهم بالمراوح الضخمة التي صُنِعت من ريش النعام ويقومون على خدمتهم ، فقد

إنتشرت الموائد الصغيرة تحمل كؤوس الخمر وقناني الماء المعطَّر وأطباق الفاكهة الطازجة .

وبعد أن قدم الملك والحاشية البخور والإكرام لكبير الآلهة " جوبيتر " سار خلفهم طابور طويل من اليهود يسجدون واحداً فواحداً أمام التمثال ويحرقون له البخور ، وقد تغيب البعض عن وعيه حتى ظهرت على ملامحه البلاهة ، والبعض قد أعمت عيناه الهدايا الملكية فأصيب بالسعادة المجنونة ، والبعض يفعل عن خوف حفاظاً على حياته فلا يقدر أن يخفي كآبته وإن كان يحاول جاهداً كبت دموعه ، والبعض قد مُسخِت شخصيته حتى أصبح " إنمعا " فيسير مع السائرين وحيثما يحمله التيار يذهب .

وعلى جانب من الساحة وقف العازر الشيخ العجوز الذي جاوز عمره السبعين عاماً ، وقد إنسابت لحيته البيضاء على صدره تعلن عن قلبٍ نقي وأكسبه المشيب وقاراً واحتراماً ، ورغم أن ملامح الهدوء قد ارتسمت على وجهه ، إلاَّ أنها لم تخلو من القوة والصلابة والشهامة حتى كل من ينظر إلى بريق عينيه يدرك أنه مقاتل عنيد لا يلين له جانب ... وقف اليعازر منتصباً كأنه في الثلاثين من عمره ، فهو من نسل عريق وأبوه أحد شيوخ إسرائيل الذين ذهبوا إلى مصر وقاموا بترجمة التوراة من اللغة

العبرية إلى اللغة اليونانية في جزيرة فاروس بحسب رغبة الملك بطليموس فلادلفيوس ، وبجوار العازر الكاتب وقفت زوجته البارة التقية سالومى التي أحبت الله من كل قلبها وعن وصاياه لم تحد قط، والتف حولها أولادها السبعة ابيم وانطونيوس وعوزيا واليعازر وانيانا وسامونا ومركلوس .

همس فيلبس في أذن الملك :

هوذا الرجل العجوز الواقف بين الحرس هناك هو اليعازر الكاتب والذين يحيطون به هم وزوجته وأولاده ، وهو رجل عنيد ولذلك فليسمح لنا سيدنا الملك في البداية أن نأمره فقط بأكل لحم الخنزير ، ومتى أكل من هذا اللحم فمن السهل أن يقدم العبادة لإلهتنا الكرام.

ويأمر فيلبس الوالي اليعازر :

تقدم يارجل لتأكل من مائدة الملك وأطيابها ، وبعد ذلك سيكون لك شرف الحديث مع جلالة الملك .

اليعازر : كيف أكل ما حرّمته الشريعة .. حي هو الرب أنه لم يدخل في فمي شيء دنس أو نجس قط ، ولن يدخل بمعونة إلهي.

ودار الحديث سجالاً وعلت النبرات ، وأحتد الوالي بينما همس أحد الجلادين في أذن اليعازر :

يارجل أن الوالي يحبك ويريد أن يطلق سراحك . بل ويمنحك مع أولادك هبات ملكية عظيمة وتنال شرف الحديث مع جلالة الملك .. لماذا لا تتظاهر بأنك تأكل من لحم الخنزير وأنت لا تأكل. إنما تأكل من اللحوم الأخرى ؟

اليعازر : عندما أتظاهر بأكل لحم الخنزير سيعتقد بنو شعبي إنني أكلت فعلاً ، وإذ أنا قدوة لهم فيأكلون ، وأكون سبب عثرة وهلاكاً لهم .. أبعد هذا العمر الطويل أفعل هذا الشر العظيم ؟!

فيلبس : ياأليعازر أنت اخترت لنفسك طريق الموت .

اليعازر : خير لي أن أموت وأنا أرضي الله عن أن أعيش وأنا أغضبه .

وأراد فيلبس أن يُرعِب اليعازر فأعطى إشارة لبعض رجاله العمالقة الذين أخذوا يتناوبونه ضرباً ، وزوجته سالومى بجواره تشجعه ، والضربات التي تخطئ جسد اليعازر تهز جسد الزوجة العجوز ، وهو يقول لها : إن كنت أكابد في جسدي آلاماً مبرحة فإن روحي فرحة متهلّلة . ثم سقط على الأرض جثة هامدة ... إنه هرب بموته من الوالي الشرير الذي كان ينوى أن يذيقه العذاب أشكالاً وألواناً.

وشعر فيلبس بمشاعر الحسرة والغضب يتحركان فيه وهو

يتمتم : لقد أفلتَّ أيها الكلب اللعين من يدي .. مـــن يعطينـــي أن أقيمك من الموت لأصب عليك جامات غضبي ؟!!

وعندما فاضت روح اليعازر سكبت شجاعة عجيبـــة وســلاماً عظيماً في قلوب الزوجة والأولاد ، فلم يعد الموت مـــارداً جبــاراً مخيفاً بعد أن جاز فيه أبيهم إنما هو بوابة يعبرون منها للســماء وينالون شرف اللقاء مع ملك الملوك ورب الأرباب ليكلَّلوا بأكـاليل النصرة والغار، وضاعت محاولات فيلبس مع الأبناء ليأكلوا لحـــم الخنزير أدراج الفضاء ، ثم اقترح عليهم أن يختاروا واحداً منـــهم ليأخذ شرف الحديث مع جلالة الملك المعظم أنطيوخس الرابــــع ، فاختاروا الأخ الرابع في الترتيب المعروف بغيرته الناريـــة وهـو اليعازر الذي شابه أباه في كل شئ حتى في الإسم ، وحاول الملـك إغراءه ليخضع لمشيئته ويبدأ بالأكل من لحم الخـــنزير ، ولكـن اليعازر إبن اليعازر اختصر الطريق على الملك وأغلق الباب فـــي وجهه قائلاً :

لا تتعب نفسك أيها الملك .. لقد مات أبونا بطلاً شـــجاعاً وهكـذا نموت نحن ..

لن نخالف شريعة إلهنا مهما كلفنا الأمر ..

بدمائنا نسجل شهادتنا لإلهنا الحي ..

لا تضيع وقتك أكثر من هذا.

فحنق الملك عليه وأمر بقطع لسانه ، وأطرافه ، وسلخ رأسه ، وبدأت حلقات التعذيب التي تقشعر لها الأبدان ، وأخيراً أشعلوا النيران تحت قدر من النحاس الفارغ ، وعندما ارتفعت درجة النحاس جداً القوا اليعازر داخله ، فتصاعد دخان شواءه كثيفاً ، وفاضت روحه ليلحق أبيه.

ووقف الأخوة الأبطال البواسل في ساحة الاستشهاد يواجهون الموت في منتهى القوة وهم يسطرون على صفحات التاريخ عبارات الحق :

ابيم : أيها الملك أنك تسلب منا حياتنا الأرضية ولكنك لا تستطيع أن تمنع إلهنا أن يهبنا الحياة الأبدية.

سامونا : من الرب أخذنا هذه الأعضاء ، ولأجل إلهنا نبذلها.

عوزيا : إننا أخطأنا وآثمنا ، فإن كان الله يؤدبنا لكنه لن يتخلى عنا.

انطونيوس : لتكن يارب دماؤنا صفحاً عن آثامنا وآثام شعبك.

انيانا : لتحذر أيها الملك الغضب الإلهي الذي سيحل بك بسبب شرورك وآثامك .

وفي ساحة الاستشهاد إرتفع صليبان يحملان الأخين الحبيبين

ابيم وانيانا ، وألقى سامونا وعوزيا في أتون النــيران ، ومــات انطونيوس بقطع الأعضاء.أما المنظر الذي لا يصدقه عقل إنسان فهو موقف الأم البطلة التي وقفت كجلمود صخر تشجع أولادهـا وتثبتهم في الإيمان .

وباستشهاد الأخوة جميعاً باستثناء الأخ الأصغر مركلوس تذوق الملك مرارة الهزيمة ، وشعر بالفشل يزحف إليه، فتمنى من كـل قلبه لو أنه يستطيع أن يكسب الجولة الأخيرة مع الفتى الصغـير الذي لم يتجاوز عمره إثنى عشر عامـاً ، وحـاول أن يستميله بإغراءات كثيرة ، ولكـن قلـب الفتـى كـان متعلقـاً بأخوتـه الذين سبقوه للأبدية ، وطلب الملك مـن الأم أن تحتفـظ بإبنـها الأخير ويكفي من أرسلتهم للموت ، وأن تقنع إبنها ليطيع الأوامـر الملكية ، فتظاهرت بالموافقة وخاطبت إبنها :

ياإبني ..

ياإبن شيخوختي . أنا التي حملتك في بطنـها، وأرضعتـك اللبـن العديم الغش، وعالتك حتى هذه اللحظة .. ألاَّ تطيعنـي وتسـتمع لنصيحتي الأمينة.

مركلوس : أطيعك ياأمي من كل قلبي ما دامت طاعتك في طاعـة الرب.

وانفرجت أسارير الملك وتمنى الحاضرون كل الحـاضرين أن تنقذ الأم حياة إبنها الأخير ، ويكفي للشمس ما عاينته اليوم مـن سيل الدماء والنار ، وإذ بالأم تصرخ :

يامركلوس .. لا تخف هذا الجلاد ..

أنت بطل ، فأكمل جهادك حتى تستحق أن تسكن مساكن النور مع اخوتك وأبيك ..أنت لست أقل منهم .

وصرخ الملك في الأم: كفى هراءاً .. صه أيتها المرأة الجاهلة الملعونة التي أضاعت زوجها وأولادها السبعة من أجل يهوه.. أين هو يهوه ؟ إن كان هناك إلهاً يدعى يهوه فليبرز لي الآن لأقاتله بسيفي وأقتله ..

وهنا تدخل أحد مشيرى الملك وأقترب للصبي مركلوس في حنان مصطنع كما تقدمت الحية من قبل لأمنا حواء ، ووضع يده عليه وأخذ يتمشى معه بعيداً عن أمه ، ويبث كلمات السم في لبه محاولاً أن يخيفه ويريعه ويضعه في عمق المأساة ، ويطلب إليه من أجل حبه لأمه العجوز التي أفقدتها الصدمة عقلها ، وأن يكون هو أكثر حكمة من هذا ، وفي غفلة وضع في يده حبات قليلة من البخور قائلاً له :

يامركلوس ياحبيبي لا تفعل شيئاً يغضب إلهك قط . . .

فقط أنا أمسك يدك وأفرغ ما فيها في هذه النيران المشتعلة وعندئذ يهدأ غضب الملك ويصدر أمراً بالعفو الفوري عنك فتذهب مع أمك إلى بيتك ..

مرت لحظات على مركلوس كأنها الدهر، وفي حركة فجائية قذف بحبات البخور تجاه الملك أنطيوخس صارخاً : للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد .. مع إخوتي أموت وإلى أبي أذهب.

وإذ بنظرات الملك تتقد ناراً : أيها الصبي الملعون سأعذبك بكل أنواع العذابات ..

وبدأت حلقات التعذيب وكلما أعيت نفسه داخله يتركونه يسترد أنفاسه ثم يعيدون الكرة .. أنهم يشوُونه على نار هادئة، والرب يقويه حتى أتم جهاده بسلام وانطلقت روحه للسماء تشكو ظلم الأرض وقسوتها ، ولم يحاول الملك أن يستميل أم الأبطال لأنه يعلم أن جميع محاولاته محكوم عليها بالفشل ، ولذلك اكتفى بقطع راسها.

وللأسف الشديد ظلت الجثث ملقاة في ساحة أورشليم لا يجرؤ أحد أن يفكر في دفنهم لئلاً يحلً عليه العقاب الانطيوخي الذي حرَّم دفن جثث المخالفين لأوامره.

وبدأت الحفلة الملكيَّة الماجنة، ونزلت الفتيات العاهرات التي لا

تغطي أجسادهن سوى غلالة من الحرير يرقصن ويغنيـــن أغـــاني الحب والهوى، وفي هذا الجو الصاخب كان يجلس " هومـيروس " أحد المقربين للحكام وللملك ، وهو الرجل اليوناني الشريف، ولـــم يكن راضيا عن تصرفات مولاه، وتدخل أكثر من مرة ليصدر الملك أمره بقتل أحد الأخوة ، وهو يهدف إلى أن يريحه مـــن العذابـــات الشيطانية، وكان يتمنى لو أنه يقدر أن يقف معارضا الملك ولكـــن هيهات فثمن هذه المعارضة في حفلة عامة هـــو فقـــدان لثروتـــه وأسرته وحياته ، وما أصعب المعادلة ؟!

وانزوى هوميروس في ركن ولم ير في الأجساد الراقصة غـــير مقات الخيالة التي تطوحها الرياح ، ولم يســـمع مـــن الأصـــوات الناعمة غير نعيق البوم والغربان ، ولم ير في اللحوم المشـــوية أمامه إلا الأشلاء الممزقة وجسدي سامونا وعوزيا اللذان شوتهما النيران ثم التهمتهما ، ولم ير في كؤوس الخمر إلا الدم المتقـــاطر من أبيم وانيانا المعلقان على صليبيهما .. أشلاء القتلى تطـــارده من كل جانب وتضغط عليه حتى أحس أن قلبه يخفق بشدة وأخـــذ يعاني من الضربات الهابطة .. هرب من المائدة إلى إلهه جوبيـــتر يلتمس منه شيئا من الهدوء لنفســـه المضطربـــة ، وقليـــل مـــن البرودة لقلبه المشتعل نارا ، وإذ به ينظر جوبيتر فإذ هو شـــيطان

ذو قرنين وعيناه تقدحان ناراً ويرقص رقصة المـــوت .. مـادت الأرض تحت أقدام هوميروس ، واهتز عقله فانسل بعيداً تسـوقه قدماه إلى حيث لا يدري ، وإذ به في وادي قدرون ، وهوذا القمـر قد صار بدراً وتوسط كبد السماء ، أما أشـعته الفضيـة فراحـت ترخي سدولها على أوراق الزيتون التي تنام في سـلام ، فـألقى بنفسه على الأرض يتأمل أحداث يوم دموي شنيع ، ويجتر آلامـاً تعصره عصراً ، وهو يحسد في قلبه ذاك القمر وتلك الشـجيرات ، وتمنى لو لم يكن إنساناً .

ولم يدرى هوميروس كم من الوقت مضى غير أنه يعلـم أنـه فات الكثير من الليل ولم يتبقى إلاَّ القليل ، وقال: لابد أن الاحتفـال قد أرفضَّ وذهب كلٍ إلى بيته، لأقوم وأذهب أنا أيضـاً ، وإذ بـه يسمع صوتاً بين حفيف أشجار الزيتون وكأن هناك مـن يتحـرك صوبه ، فقبع في مكانه وكتم أنفاسه وإذ برجال ملثمين يعـبرون عليه واحداً فواحداً ومعهم سيدتين عجوزتين ، وأيدي الرجال على مقابض سيوفهم ، فعلم أنهم من أبناء الليل الذين يسلبون الناس ، وأرتعب لئلا تكون نهايته قد أتت فقد كان أشرف لـه أن يشـهد للحق أمام الملك الظالم .. لكن لماذا يصطحب هؤلاء الرجال هاتين السيدتين المجللتين بالسواد ؟!

على مقربة من هوميروس وقف بعض هؤلاء الرجال يتقدمهم قائدهم ، وإذ سقط ضوء القمر على وجه القائد وتفحصه هوميروس بنظرات فاحصة مثل نظرات النمر قال في نفسه : أليس هذا المكابي بن متاتياس جاري في مودين والهارب في الجبال والقيافي .. فلماذا جاء الآن إلى هنا ؟! .. هل إنحرف وصار رئيساً لإحدى عصابات من أبناء الليل؟ هل أظهر له ذاتي؟ .. ربما يقتلني ..لابد أن نفسه مرة جداً بسبب أحداث اليوم ، ويتمنى لو يقدر أن يذبح الملك وكل أعوانه.

ورسم المكابي لرجاله مستطيلاً نحو مترين في ستة أمتار، فخلعوا ثيابهم وأمسكوا فؤوسهم وأخذوا يضربون الأرض وهم يهمسون حتى لا يصدر عنهم أي صوت ، غير أن هوميروس لفت انتباهه أنه كلما سمع أحد يهمس " بللم " يتحرك شاباً عملاقاً طالما رآه في مودين ، فتعجب تُرى هل إسم هذا العملاق هكذا!! بللم !! وتذكر بعض الكلمات التي كانت تتغنى بها ابنته جنفياف عن بللم ، وقال في نفسه تُرى هل كانت تقصد بللم هذا وأنا آخر من يعلم؟!..وتمنى لو قفز من مكانه ليستجوب بللم هذا ، وما هي علاقته بإبنته؟! .. تحرك المكابي وبللم يلازمه كظله مع بعض الرجال بعيداً ، عندئذ أدرك هوميروس أنه أمام أبطال يهوذا الذين

خاطروا بحياتهم وحملوا رؤوسهم على أيديهم، وجاءوا لكيما يدفنوا أجساد الشهداء ...إنسل المكابي في ظلال الليل مع بعض أبطاله وإحدى السيدتين ..

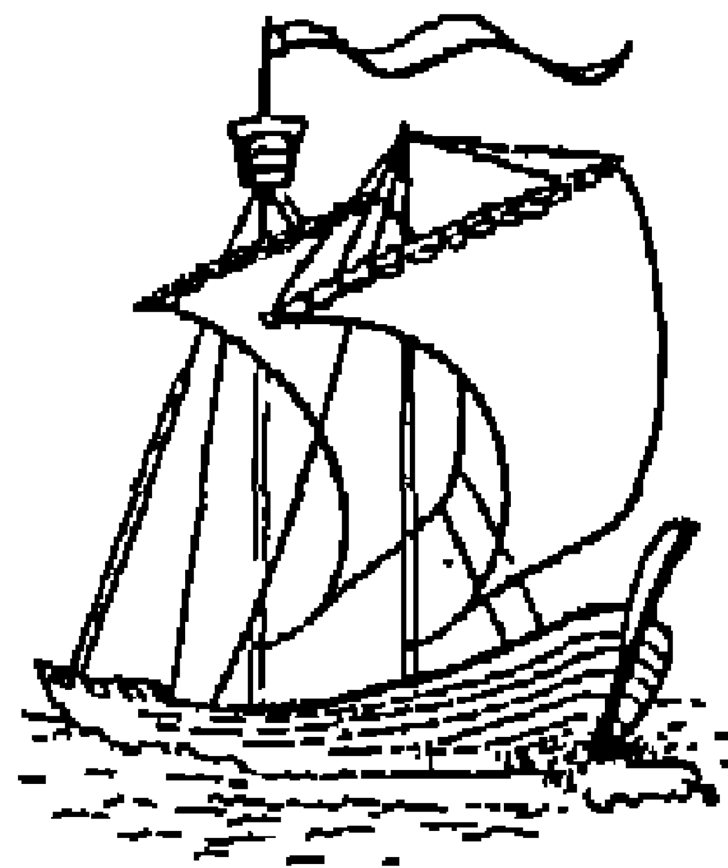
راقبوا المكان جيداً حيث أجساد الشهداء ، وفي غفلة كان يمر اثنان منهم يمسكان فيما بينهما ملاءة يلقيانها على أحد الأجساد ، ويتبعهما اثنان آخران يحملان جسد الشهيد، ويضعانه على حمار يقوده شخص خامس وكأنه أحد الأحمال .. وهكذا تم نقل أجساد الشهداء التسعة ، وبعضها كان مجرد ما خلفته النيران من عظام قليلة.

وبعد نحو نصف ساعة أقبل الموكب الجنائزي المهيب ، فالأبطال الأحياء يحملون الأبطال الشهداء في شمم وكبرياء، والقمر يقف إجلالاً وإكباراً لهؤلاء الشهداء التسعة اليعازر وسالومي وابيم وانطونيوس وعوزيا واليعازروانياتا وسامونا ومركلوس الصغير ، وسريعاً ما وسَّد الأبطال المجاهدون الأبطال المنتصرين بطلاً بطلاً في تراب القبر كما توسد الأم رضيعها على سريره الصغير ، وأحتضن القبر في حنان بالغ أجساد الأبطال الذين شرّفوه ورفعوا قدره وهو فخور بهم أيما فخر .. كل هذا تم بينما الرجال يرتلون بلغتهم الآرامية مزاميرهم بصوت مؤثر حزين

للغاية ثم انطلقوا من حيث أتوا .

وأفاق هوميروس إلى نفسه بعد أن إنصرف الرجال بوقت غير قليل، وسار نحو قبر الشهداء ..

وقف أمامهم في وقار وإجلال .. أنه يغبط هؤلاء الشهداء ، وتمنى لو أنه كان قد عارض الملك وصار كواحد منهم ، فلكم تمنى بينه وبين نفسه أن يكون إبناً لإبراهيم ، ولكنه خشي على مركزه وأمواله وأسرته ولا سيما ابنته جنفياف من بطش الملك ، وغبط أمة العبرانيين التي وقفت على هامة القرون تعلن للعالم نور الحق الإلهي إذ لا إله إلاَّ الله الواحد وحده الروح البسيط الذي لا ينقسم ولا يتجزأ هو يهوه الكائن السرمدي ، غير المحدود وغير المتناه مالئ كل مكان وزمان ، غير المتغير الكامل في ذاته المتكامل في صفاته ، خالق الكل مدبر الجميع ، القادر القوى ، العادل الرحوم ...





أما القائد ابولونيوس فقد بلغة هزيمة شارون ، وما فعله يهوذا مع بني أدوم وبني عمون وجلعاد والجليل ويافا وموت تيموثاوس فرصد أماكن وحركات ثوار يهوذا ، وأعدّ العدة للهجوم على يهوذا المكابي وقومه الذين يحتمون بمحاجي الصخور، ويدرون خبايـــا الجبال ، ويتزرّعون باسم رب الجنود ، ومن جهة أخـــرى كـــانت عيون يهوذا المكابي التي بثها في أورشـــليم والقـــرى والجبـــال المحيطة بها ترصد كل تحركات ابولونيوس وتدرس كـــل نوايـــاه، وعندما تأكد يهوذا المكابي من موعد هجوم ابولونيـــوس رســـم خطته الهجومية بدلاً من الخطة الدفاعية ، وقسم المكابي رجالـــه عدة مجموعات بقيادته وقيادة أخويه يوناثان وسمعان ، واتفقـــوا جميعاً على طريقة التفاهم والتحدث أثناء المعركة وذلك بـــإطلاق السهام الملتهبة في اتجاهات معينة ، فبناء على اتجاه السهم يفهم جميع الرجال نداء القائد يهوذا المكابي ، فيسرعون بتلبية النداء.

وفي الوقت الذي تحرك فيه جيش ابولونيوس في الوقت الـــذي كان قد أخلى أبطال يهوذا أماكن سكناهم التي كـــان قـــد حدَّدهـــا ابولونيوس من قبل ، واختاروا أماكن أخرى بديلة فـــي مخـــابئ

الجبال والكهوف يصعب على العدو أن يكتشفها..وصل ابولونيوس على رأس جيشه وحاصر المنطقة التي رصدتها عيونه من قبـــل والتي كان يقيم فيها الثوار ، واقتربوا إلى الكهوف بحرص عظيـم خطوة بخطوة يشهرون سلاحهم ، والمنادى ينادي على المكـابيّين بالاستسلام ..ثم يكتشف ابولونيوس بأن الكهوف خاوية تماماً مـن سكانها ولو أن أمتعتهم ما زالت قائمة، فقام لوقتـه مـع جيشـه يبحث ويفتش في الجبال .. وفجأة لمع أمام ابولونيوس ورجالــه رجل مكابي يقف في مدخل أحد الكهوف، فأندفع نحوه الرجال مثل الريح العاصف حتى اكتظوا في الكـــهف المتســع ، وإذ بـالرجل يختفي من فتحة سرية ، وفيما هم يتناقشــون ويتجـادلون ، وإذ بالأرض التي يقفون عليها ليست بأرض إنما سقف مموه ينـــهار بعد أن قطع الرجل الهارب بخنجر حاد الحبال التي تربط العوارض الخشبية ، ووقف ينظر إليهم وهم يسقطون في هوة الموت وقــد تهشمت عظامهم .. أنها مقبرة الأحياء .. وتجمع كثير من الرجال حول فتحة الكهف ينظرون الكارثة ولا يملكــون حـلاً ، وفجـأة يصرخ انولونيوس صرخته المدوية : ابتعدوا عن هذا المكان.

وقبل أن يرتد الرجال على أعقابهم فإذ بالمصيدة الثانية تقبـض عليهم ، فالرجل الشبح هو هو يصعد في لمح البصر مـن خـلال

الفتحات السرية ويقطع بخنجر حاد حبال أخرى تربط عوارض خشبية قوية تحمل كومة عظيمة من الحجارة، فتنهار الحجارة لتسقط حجارة أخرى ضخمة في الطريق لتسقط على رؤوس الرجال فتهشمها ..

وأحس ابولونيوس بشيء من خيبة الأمل ، ولكنه قال في نفسه العبرة بالنهاية ، وأرسل كثير من رجاله فرادى يبحثون ويفتشون عن المكابيين .. يصعدون ويهبطون وشمس الصيف الحارقة لا ترحمهم ، حتى تعبوا وأعيوا وكلّوا منذ الفجر وحتى مغيب الشمس، فأصدر ابولونيوس أوامره لجنوده ليعسكروا ويستريحوا حتى منتصف الليل ، وعندما ينتصف الليل سيتجهون إلى كهوف المكابيّين لعلهم يكونوا قد عادوا إليها .

وفي أرض فضاء متسعة استراح جيش ابونونيوس المعتز بقوته، وحاول الرجال أن يتناسوا المصيدة التي سقط فيها عدد ليس بقليل ، فراحوا يتندرون بما فعلوا بسكان أورشليم يوم أن خادعوهم وهجموا عليهم فقتلوا من قتلوا وسلبوا ما سلبوا وباعوا أسرى من باعوا ، واسترخى ابولونيوس أمام البدر ونجوم السماء وهو يُمنيّ نفسه بغنى عظيم من حصيلة بيع العبيد الذين سيأسرهم من ثوار يهوذا والذين قد وصل عددهم نحو ستة آلاف رجل من خيرة الرجال ، ولذلك أوصى رجاله أن لا يستخدموا

السيف إلاَّ في أقل الحدود ، وبقدر ما يستطيعون يأسرون الرجال.
وبينما ابولونيوس يطيب قلبه بمثل هذه الأمنيات ، فإذ به يسمع صوت فرسان يقتحمون المعسكر، وفي لحظات ينقضون كالنسور على الفريسة ، وإذ بيهوذا المكابي أسد كاسر ينبري لابولونيوس الذي اشهر سيفه وعلِم أنه سقط في المصيدة الكبرى ... قاتل كل منهما الآخر قتالاً مريراً ، ففوز أحدهما يعني نجاته من الموت أولاً ونصرة رجالة ثانية ، وفي الوقت الذي إندفع فيه كل من يوناثان ورجاله وأيضاً سمعان ورجاله وسط المعسكر وشتتوا جيش ابولونيوس حتى قاتل رجال ابولونيوس بعضهم البعض من هول الصدمة ، ورجال يهوذا يصرخون ويرجون الأرض " سيف للرب وللمكابي " وبينما أشتد صراع القائدان كان بللم يقف مثل الملاك الحارس ليهوذا المكابي .. وقف بللم يراقب صراع المكابي مع ابولونيوس ، وكلما حاول أحد من اتباع ابولونيوس التدخل كان بللم يتصدى له ، فلم يكن بللم يهاب الموت قط إنما يدخل دائرة الموت ويسقط الرجال الأشداء واحداً تلو الآخر ، فلا يصرخ صرخته " أنا بللم " إلاَّ وأسقط ضحيته ..غير أن انشغاله المريض بجنفياف ، وملاحقة طيفها له حتى في أرض المعركة جعل أحد الأشرار يفلت من بين يديه ، ويوجه طعنة غادرة للمكابى وهو يندفع نحوه اندفاع

الريح ، ولكن الله أنقذ المكابي الذي لمح هذا الشرير وفي لمح البصر أطاح برأسه ، وفي هذا لم ينقطع عن مبارزته لابولونيوس.

أما بللم فوقف منذهلاً كيف أفلت هذا الشرير من يده ، وضربه قلبه على هذا الإهمال الجسيم ، ولا سيما أن نظرة العتاب التي انطلقت من عيني المكابي أثناء صراعه قد شقت قلبه ، وأوقفته أمام الفشل الذي أقتحم حياته .. أشتد القتال بين المكابي وابولونيوس حتى تهرأ جسديهما ، وأخيراً سقط ابولونيوس مضطرجاً في دمائه بينما وقف القمر يشهد يهوذا وكأنه يرتدي رداءاً أحمراً قرمزياً يغطي جسده حتى وجهه من كثرة الإصابات التي لحقت به ، وسريعاً فرّ من فرّ من رجال ابولونيوس وقُتِل من قُتِل ، بينما رفع بللم في لمح البصر المكابي على كتفه وهو يرقص ويغني بصوته الجمهوري :

حيث المكابي هناك النصرة باسم الرب...

جراح المكابي شهادة حب لاسم الرب...

نعلي ونرفع ونعظم اسم الرب...

وكأن بللم بإعلان فرحته هذه يقدم اعتذاراً ضمنياً لحبيبه المكابي ، وسلب رجال يهوذا أمتعة وأسلحة من أرادوا أن يبيعونهم أسرى ، وأخذ المكابي سيف ابولونيوس ليحارب به

السنين القصيرة الباقية من عمره . أما بللم فكان يتحين الفرصة تلو الأخرى لينزل إلى مودين لكيما يرى أمه ، وهو يعلم أن جنفياف لابد أن تختلق الأسباب للخروج من منزلها ، لكيما تلقاه بعيداً عن الأعين ، فيجلسا تحت شجرة الزيتون في أطراف المدينة ليحكي كل منهما للآخر أدق تفاصيل الأحداث التي مرت به ، وغالباً ما كان الحديث يطول إلى الغروب ، وبقدر ما كانت جنفياف مغرمة بمنظر غروب الشمس التي تتحول إلى كتلة من اللهب الأحمر ، إلاَّ إنها كانت ترى الغروب نهاية العمر وحلول الظلام وسكنى القبور ، فتنساب دموعها رغماً عن إرادتها. بينما نور الإيمان الذي يشع في قلب بللم كان يضفي عليه سلاماً وطمأنينة، فيرى في الغروب نهاية وبداية .. نهاية الحياة الزائلة وبداية الأبدية ، فكان يرنم مع أيوب قائلاً : " وبعد أن يُغنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله فكما يرى الله في روعة الشروق " ، فإنه يعلم أن الله خلف الغروب أيضاً ، ويوماً فيوماً كانت جنفياف تتخلى عن عقيدتها الوثنية إلى قلبها فأصبح ينبسط بمنظر الغروب بعد أن كان ينقبض من قبل ، وفي كل مرة كان بللم وجنفياف يوقفان الحديث بينهما لأن الوقت المتاح يمضي سريعاً فيفترقان مع وعد بلقاء جديد ، وحديث لا ينتهي .

الفصل الحادي عشر
كــنز وكــنوز

بينما تمرَّرت حياة الأمناء في أورشليم ، وتذلَّلت نفوسهم فـــي التراب ، كان ثوار يهوذا يقاسون من الفقر وشظف المعيشة فـــي الجبال .. في أوقات كثيرة لا يجدون كسرة الخبز فيأكلون حشائش البرية ، وكثيراً ما كانوا يعانون من العطش لأنهم يجلبون الميـــاه من مسافات بعيدة تحت جناح الليل ويصعدون بها على الحمير إلى الكهوف العليا ، ولكن يوماً فيوماً أنشئوا خزاناً كبيراً مغطى فـــي بطن الجبل ، وكرسوا بعض الرجال الأشداء لجلب المياه إلى هـــذا الخزان، وكلٍ يأخذ أقل كمية ممكنة ، وأقاموا الأفران لكيما يجـدوا القليل من الخبز الذي يسد رمقهم ، ويشترون ما لا يكـــاد يكفـــي لقوتهم ، وكثيراً ما تعرضـــوا للإيـذاء مـــن الثعـــابين الســامة والحيوانات المتوحشة ولكنهم اعتادوا على مثـــل هـــذه الخســـائر الفادحة ، وبدأوا يأقلمون أنفسهم على هذه الحياة الخشنة.

والأمر العجيب أنه رغم قسوة هذه الحياة وصعوبتها ، ورغـــم الفقر المدقع الذي يعيشون فيه إلاَّ أنهم كـــانوا يشـــعرون بأنـــهم أغنياء بالله ، وقد أنعمت عليهم الطبيعة بجو نقي جعلهم يتمتعـون

بالصحة والعافية . كما أن الأمل كان يضفي على حياتهم الرضى والقناعة والسرور ، كانوا يصطفون للصلاة مع المكابي ، وصلواتهم النابعة من عمق قلوبهم تعطيهم الشبع الروحي ، وبينما أنت تصعد وتهبط بين كهوف وقمم قمران، فأنك تستمتع بأصوات الترانيم والتسابيح من أولئك الذين حوّلوا القفار إلى سماء . وما أجمل جلسات التسالي والسمر حول زعيمهم المكابي الكنز الذي لا ينضب ، والذي يتمتع بروح خفيفة ودعابة حلوة. بينما لم يقصر سمعان أبداً في إرشادهم وحل مشاكلهم أول بأول ، فلا يترك اثنين يناممان وهما متخاصمين قط حتى لو أضطر للسهر معهما إلى الصباح.

وفي هذه الكهوف الكائنة بتلك الجبال نشأت أيضاً جماعة الحسيديّين " الأتقياء " ذوي البأس الذين اعترضوا على الأوضاع الخاطئة مثل تعيّن الملك أنطيوخس لأناس من أمثال ياسون ومنلاوس رئاسة الكهنوت رغم أنهم ليسوا من بيت صاداق رئيس الكهنة ، علاوة على أن أخلاقهم المنحطة لا تؤهلهم قط لهذا المنصب الرفيع ، ولذلك أمتنع هؤلاء الأتقياء عن مشاركة الشعب عبادته ، وظلوا منتظرين على رجاء من يأتي ليطهر الهيكل ويرد الرئاسة الكهنوتية إلى من يستحقها. كما كان هؤلاء الأتقياء

ناقمين على إخوتهم اليهود الذين اصطبغوا بالصبغة اليونانية ، وأيضاً أولئك اليهود المرتدين الذين اصطبغوا بالصبغة اليونانية ناصبوا الأتقياء العداء حتى أنهم سفكوا دماء الكثيرين منهم بجوار الهيكل بل وبداخله .. أعتزل الأتقياء عن المجتمع كلية ، وعزفوا عن الزواج وعاشوا حياة الطاعة والفقر الاختياري ، فهم إذاً رهبان في صوامعهم .

وأكثر ما اهتم به هؤلاء الأتقياء هو نساخة الأسفار المقدسة كنوز النعمة على مدى الأجيال ، وتفسيرات هذه الأسفار ، وبعض الكتب التي تشرح حياتهم وقوانينهم ، وكيفية الإنضمام لهذه الجماعة المقدسة ، وطقوسهم ، وترانيمهم .. أنهم ضحوا بكل رخيص ونفيس ثمناً لحريتهم المفقودة في مزاولة عبادتهم ، واحتملوا الممارسات الروحيَّة الصارمة من أصوام وصلوات وتقديس السبت ودراسة كلمة الله بفرح وسرور، وأقام الحسديّين الورش البسيطة لتجهيز جلود الحيوانات لكيما تصير رقوقاً صالحة تحمل كلمة الحياة ، وكانت القوانين اليهودية تشترط أن الذي يقوم بتجهيز هذه الرقوق يجب أن يختارها من جلود الحيوانات الطاهرة ، ولابد أن يكون يهودياً لا غير. أما الناسخ فلابد أن يكون رجلاً حكيماً يُقدّر قيمة العمل الذي يعمله، ويستعد

للنساخة فمثلاً يغسل جسده كله ، ويجهز نفسه بالأفكار الخشوعية ويلبس الملابس اليهودية. أما الحبر الذي يستخدمه فهو له صنعة خاصة بيد رجل يهودي أيضاً من الهباب الناتج عن مشاعل الزيت أو من أسفل القدور مخلوطاً بعسل النحل النقي ، وعند بدء نساخة أي صفحة يُحصي الناسخ عدد كل حرف ويسجله في جانب الصفحة ، وعندما ينتهي من نساخة الصفحة الجديدة يحصى كل حروفها ، ثم يطابق الإحصائيتين معاً ، فإن تطابقتا استراحت نفسه ، أما أن كان هناك خلاف في حرف واحد فلابد أن يعثر عليه ويصححه، لأن التلمود يحذره من سقوط حرف واحد من التوراة لئلا يترتب عليه هلاك العالم ، ولهذا أُطلق على النساخ لقب " سُفريم " وهي مشتقة من الفعل العبري " سُفِر " بمعنى يحسب ، لأنهم اعتادوا أن يحسبوا حروف الأسفار ، وغالباً ما كان يتم تسجيل أحصائية في نهاية كل سفر بعدد حروفه ، وتحديد الحرف المتوسط فيه ، والكلمة المتوسطة والآية المتوسطة حتى يمكن ضبط النسخ الجديدة ، فحدَّدوا الحرف الأوسط من كل سفر، والحرف الأوسط من أسفار موسى الخمسة ، وتكرار كل حرف على مستوى العهد القديم كله، فحرف الألف بلغ ٤٢٣٧٧ ، وحرف الباء بلغ ٣٨٢١٨ ، وحرف الجيم ٤١٥١٧ وهكذا ،

والناسخ في نساخته لا يعتمد على حفظه قط، بل لابد أن ينظر إلى كل كلمة قبل أن ينسخها ، بل ويردّدها بصوت مسموع حتى يشغل أكثر من حاسة واحدة ، وإن ناداه أثناء الكتابة رئيساً عظيمـــاً أو ملكاً فلا يلتفت إليه . أما عند كتابة اسم الله فإنه ينــهض لوقتــه ويسجد على الأرض لاسم يهوه ، ويأخذ الريشة المخصَّصة لـــهذا الاسم العظيم فقط، ويكتب اسم " الله " ويعيدها مكانها ، وقد يمكث الناسخ في نساخة نسخة واحدة من الأســفار المقدســة ســنوات طويلة هذه عددها ، وهل تنتهي مهمته بهذا ؟ كلاً .. فإن هنـــاك لجنة المراجعة التي تراجع ما تم نساخته حرفاً حرفاً وكلمة كلمة ، فلو كان في النسخة أكثر من ثلاث كلمات خطأ وقد تم تصحيحها ، فإنهم لا يقبلون هذه النسخة ، وإنما يحرقونـــها فـــي النـــار ، أو يدفنونها إذ يحضرون لها كتان نقي ليكون بمثابـــة أكفانـــاً لـــها، ويضعونها في جرار فخارية لتكون بمثابة قـــبر لـــها ، ويغلقـــون الجرار كما يغلقون باب القبر ، أما الحجرة التي تحتوى على هـــذه الجرار فيدعونها " جنيزة " ومنها جاءت لفظة " جنازة ".

وكان في أورشليم مكتبة عظيمة قد أنشأها نحميا ساقي ملـــك فارس الذي رمم أسوار أورشليم ، وكانت هـــذه المكتبـــة تضـــم الأسفار المقدسة مع تفسيرات عديدة ، وقد أجتهد الأتقيـــاء فـــي

إخفائها تماماً عن أعين الملك ، ويوماً فيوماً استطاع الحسيديون نقل هذه المكتبة من الأحضان الأورشليمية إلى بطون كهوف قمران بل وزادوا عليها ، وكم تقدّست أقلام هؤلاء الأتقياء بنساخة الأسفار المقدسة التي احتفظوا بها في الجرار الفخارية ، وأخفوها في بطون الجبال وفي أماكن متفرقة وصلت إلى ستين مكاناً ، وسجلوا أماكن هذه الكنوز العظيمة على لوح نحاسي طمروه في أرضية أحد الكهوف ، وهم في هذا يتحدون الملك أنطيوخس الرابع الذي أصدر أوامره المشدَّدة بتمزيق وحرق الأسفار المقدسة ، وقتل كل من يضبط لديه ولو قصاصة ورق واحدة، وبينما كان أبطال يهوذا يخفون هذه الكنوز في بطون الجبال، لم يدر بخلدهم أنهم يقدمون أعظم هبة للبشرية ، ولم يأتي على فكر البطل المغوار المكابي كنز ذاك الجيل وهو يخفي كنوز كل جيل إنه بعد أكثر من عشرين قرناً سيتم الكشف عن هذه الكنوز على يد غلام يدعى محمد الديب من قبيلة التعمير عندما تضل إحدى الماعز من قطيعه ، ويصعد على الجبال ليبحث عنها فإذ به يكشف عن أعظم الكنوز التي لا يساويها كل ذهب وجواهر وكنوز الأرض، وتصير مثار اهتمام علماء القرن العشرين وما بعده.

ولم يكن يتصوَّر أحد من هؤلاء الأتقياء أن الشيطان سينجح

بعد آلاف السنين في تشكيك الكثيرين في صحة الكتاب المقـدس ، ويعزف نغمة تحريف الكتاب المقدس وأن النسخ المتداولة مختلفة عن النسخ الأصلية ، ولكن الله سيشاء في سـنة ١٩٤٧م ومـا بعدها بأن يكشف عن هذه الكنوز ويفضح الشـيطان وأعوانـه... حينئذ سيتأمل العالم النُسخ التي دُوّنت في هـذا الزمـان (القـرن الثالث والثاني قبل الميلاد) وسيجدونها مطابقة تمامـاً لمـا بيـن أيديهم فيزداد المؤمنون إيماناً ويفتضح أمر الأشرار ، ولـم يـدر بخلد أحد من هؤلاء الأبطال أنه عند الكشف عـن عمـل أيديـهم ستكون أقدم نسخة للعهد القديم قد عُرِفَت يرجـع تاريخـها إلـى القرن التاسع الميلادي . أما هذه الكنوز فأنها سترجع بالبشـرية أكثر من ألف سنة إلى القرن الثالث والثاني قبل الميلاد بالقرب من الفترة التي عاش فيها بعض الأنبياء مثل ملاخي وزكريا وحجي .. وسيرى العالم كله أن هذه النُسخ مطابقة تماماً تماماً للنسخ التـي بين أيديهم في القرن العشرين .. فأين الإختلاف ؟ وأين التحريف؟ أن كهوف قمران ستشق عن بطونها وتعلـن كنوزهـا لتفضـح الشيطان وكل أعوانه ، فيسد كل فم يرتفع ضد كلمة الحياة .

ولم يفهم أحد من هؤلاء الأتقياء أن الله يستخدم شر الشـيطان ومقاومة أنطيوخس الشرير لكلمة الله ، فيحفظ هذه الكنـوز فـي

بطون الجبال ليعود ويضرب بها الشيطان في القرن العشرين وإلى الأبد، وليخزى بها كل أعوانه .. ما أعجب تدابيرك يارب ؟! حقـــاً من يفهم فكر الله ، ومن صار له مشيراً ؟!! شكراً لك أيها المكابي كنز ذلك الجيل لأنك ساهمت في إخفاء كنوز كل جيل ..

فأنت كنز جُبِل على صورة الله ومثاله ، وتلك الكنوز تحمل لنسا رسم الله وصورته وصوته ومحبته للبشرية ..

أنت كنز وتلك كنوز .. أنت كنز لأنك حملت كلمة الله في حياتك وعشت بها حتى صرت رسالة الله المقروءة من الجميـــع ، وتلـــك كنوز لأنها حملت للبشرية كلمة الحُياة التي تعيش بـــــها ، وبـــها تصل للملكوت ..

أنت كنز وتلك كنوز .. أنت كنز حويت الرسالة الإلهية لتحريـــر شعبك ، وتلك كنوز تحوى رسالة الله لخلاص الإنسان ..

أنت كنز وتلك كنوز .. فأنت كنز خالد إلـــى الأبـــد، وســـيعاين سكان الملكوت أمجادك في الأبدية، وتلك كنوز لأن كلمة الله ثابتـــة إلى الأبد ..

الفصل الثاني عشر
في عمواس وفي عمواس

ولم يكتف أنطيوخس الملك بما فعله في أورشليم إذ كسر أنف اليهود وأذلهم وأحط من قدرهم وحرمهم من ممارسة عبادتهم. إنما أراد أن يمحو من تحت السماء كل ذكر ليهوذا المكابي وقومه، ففتح خزائنه وصرف لجنوده مرتب سنة كاملة ، وأوكل إلى قريبه ليسياس بهذه المهمة لأنه إنصرف إلى بلاد فارس في حملة تأديبية للبارثيين ولتحصيل الجزية لأن أمواله أوشكت على النفاذ ، ولا سيما أن جباة الضرائب في أرض فلسطين عجزوا عن جمع أموال الجباية بسبب سطوة المكابي .

واختار ليسياس ثلاثة من عظام القادة وأكثرهم شجاعة وإقداماً وهم بطلمايس ، ونكانور ، وجرجياس وبعث بهم على رأس جيش قوامه أربعين ألف جندياً وسبعة آلاف فارساً ، فساروا من أنطاكية إلى اليهودية في عظمة وأبهة وكبرياء وافتخار لا مثيل له ، وكأنهم ذاهبون إلى فسحة لصيد بعض الغزلان إذ كم يبلغ عدد رجال المكابي بجوار هذا الجيش العظيم .. حقاً يكفيهم رجال سلاح الفرسان فقط ليقضوا عليهم قضاءاً مبرماً ، وبلغ الكبرياء

بنيكانور أحد القادة الثلاث إلى أنه أرسل إلى مدن الساحل يدعو التجار الذين يريدون أن يشتروا عبيداً من أسرى يهوذا ، وبلغ به الصلف إلى أنه حدَّد سعراً مجزياً لبيع العبيد ، فثمن التسعين مقاتلاً وزنة واحدة من الفضة ياولداه !! وأسرع التجار الجشعون بالمئات يحملون أمتعهم ويخفون في طيات ملابسهم أكياس الفضة والذهب ، وكلٍ منهم يحلم بالثراء الفاحش من شراء العبيد ومخلفات المعركة.. أما جرجياس فقد طلب أن يحتفظ بالمكابي لنفسه حيًّا ليفقأ عينيه ويذله كما أذل الفلسطينيون شمشون الجبار من قبل .

قطع الجيش رحلته وعسكر في عمواس جنوب غرب أورشليم استعداداً لمطاردة مطاريد الجبل أي المكابي ورجاله كما يدَّعون ذلك . أما المكابي البطل الذي بث عيونه وآذانه في كل مكان ، فكانت الأخبار تصله أول بأول ، ولا سيما أن خطوط الاتصال كانت جيدة جداً وسريعة يستخدمون فيها الإشارات ، وبعض من رجاله وصلت بهم الجراءة إلى الدخول وسط جيش الأعداء يقدّمون المياه للجنود يبيعون لهم بعض المأكولات بينما هم يتجسَّسون عليهم .

ونزل المكابي ورجاله إلى المصفاة مكان الصلاة والدموع ،

وانسكب الجميع في صلوات وتضرعـــات للـــرب الإلـــه ، وهـــم متمنطقون بالمسوح ، وجثي المكابي البطل العظيم علـــى ركبتيـــه يصلى لإلهه الحي :

" أيها الرب الإله أذكر مراحمك ووعـــودك لآبائنـــا إبراهيـــم وأسحق ويعقوب .. نعم أننا أخطأنا وآثمنا ، وأنت غضبت علينـــا حتى كدت أن تفنينا .. قد قتلت في يوم غضبك، ذبحت ولم تشفق. كَرِهَ السيد مذبحه . رذل مقدسة . سكب كنار غيظه . غير أنه من أجل كثرة احساناتك يارب إننا لم نفن بل أبقيت لنا بقيـــة ســـراجاً لإسرائيل . حقاً أن مراحمك هي جديدة كل يوم ولا تزول ..

يارب إله القوات كيف نثبت أمام جيش عظيم كهذا إن لم تكـــن أنتَ قائدنا؟ .. هُبَّ أيها الرب إله القوات لنصرتنا ولا تتخلى عنا.. حارب يا رب عن شعبك يعقوب وميراثك إسرائيل .. أنظـــر إلـــى تعييرات الأمم واستهزائهم بك ولا تصمت أيها الرب إله القوات..

لقد منحت النصرة لأبينا إبراهيم على أربعة جيوش ولـــم يكـــن معه سوى ٣١٨ رجلاً ، وخلصت شعبك من جيش مديان ولم يكن مع جدعون أكثر من ثلاثمائة رجلاً ، واليوم نحن نفر قليـــل فـــي مواجهة جيش عرمرم من المقاتلين الأشداء مشـــاة وفرســـاناً .. نحن نثق أن الحرب للرب ومسيحه .. فلا تتغاضى عنا يارب مـــن

أجل نجاساتنا .. لا تهملنا من أجل إسمك القدوس الذي دُعي على المدينة المقدسة " .

وضُرِب في المحفل بالبوق فأصطف الجبابرة، ونادى المنادي بحسب أحكام الشريعة :

من شرع في بناء بيت ولم يكمله فليرجع ..

من غرس كرماً ولم يأكل منه فليرجع ..

من خطب إمرأة ولم يتزوجها أو تزوج حديثاً فليرجع ..

من كان خائفاً فليرجع ..

وضاع النداء أدراج الرياح ، فالجميع صامدون ثابتون حتى النفس الأخير. لقد سبق وتركوا بيوتهم ومدنهم ، ولم يعد أحد منهم يبني بيتاً أو يغرس كرماً ، فجميعهم من سكان الجبال الذين باعوا حياتهم من أجل عقيدتهم ، وحملوا رؤوسهم على كفوفهم ، وتبعوا المكابي .

وأسرع المكابي بتنظيم جيشه رؤساء ألوف ورؤساء مئات ورؤساء خمسينات ورؤساء عشرات ، وقسم الرجال إلى أربعة كتائب بقيادته هو وأخوته ، وجعلوا كلمة السر بينهم " نصرة الله" ثم خطب فيهم يهوذا قائلاً :

يارجال .. تقوّوا .. تشجعوا .. تشدّدوا .. كونوا ذوي

بأس .. ياأبناء الشهداء .. ليكن لكم إيمان الآباء .. لقد جاءوا ليأخذوننا عبيداً فلن نسلمهم أنفسنا إلاَّ جثثاً هامدة .. لم يعلموا أن الله معنا يخلص بالكثير أو بالقليل .. هو يحارب عنا ، ونحن نودع أنفسنا بين يديه .. فليحيطكم الرب بملائكته .. وليحرسكم بقوته .. ليرفع إسمه في كل زمان .. آمين " .

وهنا بلغ المكابي أن جرجياس قاد فريقاً من الجيش يبلغ نحو خمسة آلاف جندي وألف فارس مع بعض رجال قلعة أورشليم ويسعون تجاه كهوف قمران للظفر بالمكابي وقومه في ظلام الليل . أما جيش نيكانور فإنه يقبع في عمواس حتى الصباح ، وجيش بطليمايس يستعد لملاقاة المكابيين الهاربين من سيف جرجياس حتى لا يبقى منهم فالت ولا شارد . وجاء القرار الحكيم للبطل المغوار ليُترك جرجياس يسعى نحو كهوف قمران ولا يترأ أحد من المكابيين أمامه ويتركه إلى الصباح عندما يكون جنوده قد أعيوا من المشي في الجبال ، وليهبط الآن على جيش نيكانور المستريح في عمواس ، وفعلاً سلك البطل طريقاً آخراً حتى لا يلتقي مع جرجياس ، ومع بداية الهزيع الثالث من الليل كانت الكتائب الأربعة للمكابيين تزحف في هدوء تام نحو معسكر نيكاتور حتى أحاطوا به ورأوه رؤيا العين .. أنهم جنود

مستهترين يستلقون على ظهورهم خارج الخيام يتسامرون ويضحكون ويحتسون الخمر ويقامرون .

أما مجلس نيكانور فقد أحاط به أتباعه يقصُّون الطرائف ويتسلَّون بالنكات السخيفة مستمتعين بليلة الصيف هذه . وأما الحراس فإنهم استهانوا وتقاعسوا عن أداء واجباتهم ، وتركوا أماكنهم في أطراف المعسكر وانسلوا إلى داخله، والجميع منتظرون شروق شمس الغد حيث يعود إليهم القائد جرجياس يسحب خلفه ألوف ألوف من أسرى المكابيين ، ويجنبهم مشقة القتال ، وبمثل هذه الأفكار كان كل فريق من الجنود والقادة والتجار يمنّي نفسه.

وفي ساعة الصفر أنطلق سهم المكابي المشتعل ناراً في سماء عمواس، فانطلقت أصوات الأبواق ، وصرخات الرجال أخذت تشق عنان السماء " سيف للرب وللمكابي " مع سيل منهمر من الأسهم المشتعلة مما أحدث ربكة ما بعدها ربكة في معسكر نيكانور، حتى مادت الأرض تحت أقدامهم ولا سيما عندما ارتفعت ألسنة اللهب في الخيام ، وهاجت الخيول ، وكلٍ يحاول الفرار من سيل السهام الذي يشق كبد المعسكر ، ومن ينجو من سهام المكابيّين يسقط بسيفهم ورمحهم .. كان المكابي يدير المعركة أما الرجل

" بللم " فلم يفارق المكابي قط بل لازمه كظله ، وكم مرة أنقذ بللم البطل من الطعنات الغادرة التي تأتيه من الخلف ، وكطريقته المعهودة في ضوء النهار هكذا في ظلمة الليل ، فإنه يسقط الواحد تلو الآخر مغشياً عليه دون أن يقتل أحداً .. فصرخته التي تدوي " أنا بللم " تهز كيان الخصم وقبل أن ينتبه إلى ما يجرى حوله يكون العملاق قد هوى بكعب سيفه على رأسه فيسقط مغشياً عليه، ويبحث عن غيره .. أنه صاحب القلب الأبيض والسيف الأبيض .. كان بللم يقاتل ولا يدرى أن هناك قلباً محباً في عمواس قريباً منه يهفو نحوه داعياً له بالأمان والسلام .

ولم تمضِ أكثر من ساعة إلاّ والمعركة قد حُسمت لصالح المكابي ورجاله بعد أن سقط الكثيرون من رجال نيكانور وهرب القليلون ، واستطاع نيكانور أن يهرب في حماية أتباعه ، فقد دفع بعضهم حياته من أجل نجاته ، ولم يعد يُسمَع في المعسكر سوى أنين الجرحى وحشرجات المحتضرين ، وأنشغل رجال يهوذا بجمع الأسلاب والغنائم وأكياس الفضة والذهب المخفية في طيات ملابس التجار . أما المكابي فصرخ في رجاله: الوقت ليس وقتاً لجمع الغنائم والفضة والذهب .. أمامنا جرجياس بجيشه يبحث عنا، وبطليمايس وجنوده ينتظرون المنفلتين منا .. أن الحرب

شرسة وقاسية .. لنترك كل شيء ونستعد للجولة القادمة ، وبعد أن ينقذنا الله نعود للغنائم ، لأنه ما فائدة كل أموال العالم لنفس يهددها الموت ويريد أن يقتنصها ، وكانت محبة الرجال لبطلهم أقوى من محبتهم للذهب والفضة والأرجوان ، فطمروا في الأرض ما جمعوه وتبعوا المكابي ، وقد أرتدى بعضهم ملابس جنود نيكانور الذين لقوا مصرعهم والتي تتميز عن الملابس اليهودية ، ومثل هؤلاء الرجال أحاطوا بكتائب يهوذا من الجوانب .

وفي الوقت الذي كان فيه جرجياس يفتش في الجبال على مكابي واحد ولم يعثر على أحد ، أخذ يفكر في العودة إلى أصحابه نيكانور وبطلمايس ليعيد ترتيب الخطة بعد أن فشلت خطته هذه، فأصدر أوامره لجنوده بالعودة إلى عمواس ، وفي طريقهم إلى المعسكر وجدوا جيشاً زاحفاً من المعسكر ظنوا أنه جيش بطلمايس أو نيكانور ، ولا سيما أن الذين يظهرون في مقدمة الجيش من الفرسان يتزيُون بالزي العسكري اليوناني وعلى رؤوسهم القبعات اليونانية ، وأعطى المكابي أوامره لرجاله بأن يحتفظون بهدوئهم ولا يبدون أي اهتمام ، وعندما إقترب الجيشان إنطلق سهم المكابي ليعطي إشارة الهجوم ، فأنقض أبطال يهوذا كالأسود الضواري على جيش جرجياس الغافل بعد أن اخترقوا

صفوفه وتلاحموا معه ، وقد أفقد هول الصدمة جرجياس وجيشه الاتزان إذ كيف يفاجئون برجال يهوذا الذين يبحثون عنهم الليل كله يخترقون صفوفهم ، وارتفعت جلبة الحرب وقرقعة السيوف ، وأصوات الأبواق، وصرخات المقاتلين ، وفي ساحة الوغى يفقد أحكم الحكماء عقله ، ويتطاير الشرر من العيون والحقد والغضب من القلوب ، ما عدا الرجل " بللم " الذي أعطاه الرب قلب طفل حتى في ساحة الوغى ، فهو يلازم المكابي ملازمة ظله يحميه من الطعنات الغادرة بكعب سيفه الأبيض، وأراد " دوستيان " أحد أبطال يهوذا أن يأسر جرجياس حيّاً فأمسك بملابسه واجتذبه بقوة حتى كاد يسقطه عن جواده غير أن أحد فرسان جرجياس حمل على دوسيتان وضربه بالسيف ضربة قوية فقطع يده وأفلت جرجياس . وظفر تيموثاوس شقيق المكابي برأس أحد القادة وظنه جرجياس ، فرفع رأسه على الرمح لأعلى وصرخ بأعلى صوته " هوذا رأس جرجياس" فهتف أبطال يهوذا ، ولم يجرؤ جرجياس أن يعلن عن نفسه خوفاً على حياته ولا سيما أن كفة المكابي بدأت ترجح شيئاً فشيئاً ، وعندما علم جنود جرجياس بموته لاذوا بالفرار وحُسِمت المعركة لصالح المكابي وأخوته.

وعاد الرجل إلى التراب ينبشونه ، فالإنسان من تراب وإلى

الترابيات تكون اشتياقاته الجسدية ، وحملوا ما طمروه من غنائم المعارك ، ولكن أبطال المكابي الذين تجرّدوا من هذه الاشتياقات الترابية حملوا ما قد حملوه ووضعوه تحت أقدام المكابي الذي أمر بعض رجاله بحمل هذه الغنائم للصرف منها على الجماعة ، فقد كان كل شيء بينهم مشتركاً .

وعاد الرجال إلى كهوفهم وهم يعلمون أن الأمر لم ينتهِ بعد لأن هناك فريق ثالث بقيادة بطلمايس ..عادوا وهم يترنمون ترنيمة الخلاص "الرب نوري وخلاصي ممن أخاف. الرب ناصر حياتي ممن أجزع. مضايقي وأعدائي عثروا وسقطوا ، وأن يحاربني جيش فلن يخاف قلبي ، وإن قام عليَّ قتال ففي هذا أنا أطمئن.. اسبح وأرتل للرب"

ووصل يهوذا المكابي ورجاله إلى مناطقهم وهم في منتهى اليقظة منتظرين لقاء بطلمايس وجنوده في أرضهم ، وهم خبراء بكل شبر فيها ، وقد نصبوا الكمائن حتى أنه من الصعب أن يصل جندي واحد من جنود بطلمايس أو غيره إلى منطقة الكهوف .

وكانت أخبار النصرة والكسرة قد وصلت إلى بطلمايس بالتفصيل عن طريق جنود نيكانور وجرجياس الذين نجوا من المعركة فأثر الانسحاب ، وفي إنسحابه إلتقى مع جرجياس

ونيكانور ، فحاولوا تجميع الفلول الهاربة من جيوشهم واتجهوا إلى قلعة الاكرا في أورشليم أمام الهيكل في خزي عظيم ، بينما عيون بنات صهيون ترقبهنَّ ببريق يشع فرحاً وسروراً وهنَّ يترنمن ترنيمة النجاة :

" إ ذا اجتزت المياه فأنا معك .. إذا مشيت في النار فلا تلذع .. اللهيب لا يحرقك "

وسرت الأخبار في البلدان بنجاة المكابي ورجاله بل بنصرته على الجيوش الثلاث فابتهجت القلوب واستراحت النفوس ، ورفعت التشكرات للرب الإله ، ولمع نجم المكابي في سماء إسرائيل ، حتى صار مصدر رعب لأعدائه ، وقال محلّلوا الأحداث اليوم قد تحققت نبوءة زكريا النبي " لأني اوترتُ يهوذا لنفسي وملأتُ القوس أفرايم . وأنهضت أبناءكِ يا صهيون على بنيكِ ياياوان (اليونان) وجعلتكِ (يا صهيون) كسيفِ جبَّارٍ. ويُرى الرب فوقهم وسهمه يخرج كالبرق والسيد الرب ينفخ في البوق ويسير في زوابع الجنوب. ربُّ الجنود يحامي عنهم فيأكلون ويدوسون حجارة المقلاع .. ويخلصهم الرب إلههم في ذلك اليوم كقطيع شعبه بل كحجارة التاج مرفوعة على أرضه. ما أجوده وما أجمله " (زك٩:١٣-١٧) .

وقالوا أن هذه النبوءه لا تنطبق إلاّ على المكابيّين فقط لأنهم هم الوحيدون إلى الآن الذين حاربوا اليونانيّين أما علامات تدخل الله فقد كانت واضحة كالشمس إذ كيف يهزم جيش المكابي وعدده ستة آلاف مقاتل ثلاث جيوش عددها أربعون ألف مقاتل وسبعة آلاف فارس ؟! أليس هذا عمل الله ياياوان ؟! .. وللرب حرب مع عماليق من جيل وإلى جيل.

وكان أنطيوخس الرابع قد سمع عن غنى مدينة "برسا بوليس " في بلاد فارس، وعظمة هيكلها، وما يحتويه من سجوف الذهب ، وكنوز الإسكندر الأكبر ، فسار للمدينة محاولاً اقتحامها وسلب غنائمها، ولكن هجومه فشل أمام شجاعة وبسالة أهلها حيث قاتلوه وقهروه ، ففر وعاد إلى بلاده بغم شديد، وفي طريق عودته لاقاه أحد رجاله فأبلغه بانكسار جيوشه واندحارها أمام المكابي وسقوط الكثيرين من الجنود، فوقع أنطيوخس في غم عظيم حتى فارق النوم عينيه، وأراد أن يثأر لكرامته التي أهدرها أهل فارس من اليهود الذين قهروا جيوشه ، فأمر سائق مركبته أن يجد في السير بلا توقف حتى يصل إلى أورشليم ليجعلها مقبرة لكل اليهود ، ولكن الرب الإله ضربه بداء أليم في أحشائه .. وكم من الأحشاء مزقها هذا الطاغية من قبل ؟! وكم من الشباب قتل؟!

وكم من الأمهات أثكل ؟!

وإذ الملك مصرٌّ على عناده وكبريائه أخذ يحث قائد المركبة أن يسرع أكثر فأكثر ، وبينما هو جالس في طرف المركبة وكأنه يريد أن يطير ليسبق الخيول التي تجُرّ المركبة ، وإذ بالمركبة تختل فيسقط منها ويترضض جسده ويتجرَّح وتزداد آلامه ، وسريعاً ما تغيرت رائحة الجروح التي في جسده حتى أن الديدان الصغيرة أخذت تنبع منها وهو بعد حي ، وحينئذ أدرك أن هناك قوة خفية تدافع عن الشعب المظلوم ، فعاد إلى نفسه وقال لو عدت إلى أورشليم فإنني سأجعلها مدينة حرة ، وأساوى بين اليهود واليونانيين ، وأزين هيكل أورشليم بأفخر أنواع التحف ، وأن أتحمل تكلفة الذبائح التي تُقدم لإله السماء .. بل إنني أتهود وأطوف أرجاء الأرض أخبر بقوة يهوه إله اليهود ، ولكن إذ كان كأسه قد امتلأ واكتمل وفاض ، فلم يجد الوقت لتحقيق وعوده، وكل ما استطاع أن يفعله قبل موته هو أن يوصي صديقه فيلبس بأن يقيم أبنه أنطيوخس الخامس عوضاً عنه على العرش ولا سيما أن شقيقه ديمتريوس يحاول الحصول على العرش بمساعدة الرومان، وكتب قبل موته لليهود يوصيهم بإبنه قائلاً:

من أنطيوخس الملك القائد إلى رعايا اليهود الأفاضل ..

السلام الكثير والعافية والغبطة ..

إذ كنتم في سلامة ، وكان أولادكم وكل شيء على ما تحبـون ، فإني أشـكر الله شـكراً جزيـلاً . أمـا أنـا فرجـائي منـوط بالسماء..عينت للملك ابني أنطيوخس (الخامس) فأناشدكم وأرغب إليكم أن يتبقى كل منكم على ما كان له من الولاء لـي ولإبنـي ، ولي ثقة بأنه سيعاملكم بالرفق والمودة .

أنطيوخس الخامس "

وعقب حلقات الصراع هذه أراد بللم أن يذهب إلى مودين ليرى أمه فتراه جنفياف ويسعد بلقائها، وإذ كان منشغلاً بها خلال الفترة السابقة حتى أنه يكاد يراها بجواره في كل وقت ، وفي الأوقـات العصيبة بالأكثر يشعر وكأنها تتلامس معه وتشجعه .. لقد أجـهد تفكيره كثيراً في حل مشكلة حياته هذه رغم أنه لم يتعود قـط أن يشغل فكره إلى هذه الدرجة مهما كانت الأمور خطيرة ، وكم ذرف من الدمع ؟! وكم عانى من وجع القلب ؟! وكم تمنى لو أنه حـافظ على حريته ولم يدخل رقبته في طوق الأسر؟! وكم تمنى المـوت من كل قلبه ؟! وكم تمنى أن يمد الله يده ويسـوّيها بمعرفتـه ؟! وكم.. وكم .. وكم.. ولكن هيـهات هيـهات، وأخـيراً أستسـلم لضعفاته وقال في نفسه : ما دامت هي مستعدة أن تتهود ولكنـها

تخشى أبيها وأخيها ، فلماذا لا أشترى لها بيتاً في أريحا (شمال قمران بنحو ١٣كم) ، ولتهرب من بيت أبيها وتعيش هناك ، وأنا أترددّ عليها وأعولها ، وإذ لم يكن يخفي شيئاً عن صديق عمره ، كاشفه بالأمر كله ، فلم يجد غير التوبيخ الصارم إذ قال له المكابي : كيف تشجعها على الهروب من بيت أبيها ؟! هل تقبل أنت أن يفعل أحد هكذا بابنتك ؟! أتريد أن ترتكب الرذيلة باسم الفضيلة ؟! ومع أن المكابي بكّته إلاَّ أنه كالعادة ترك له حرية التصرف ، أما بللم فاستأذن المكابي وأخذ كمية من الفضة تكفي لشراء بيت صغير لجنفياف في أريحا ، وحمل بللم معه بعض الهدايا لأمه ولجنفياف وذهب إلى مودين .

وعندما وصل بللم إلى مودين تذكر أيام صباه ، وذكرياته مع أقرانه ومع جنفياف ، وإذ هو يتخذ طريقه نحو بيت متاتياس حيث تقيم أمه كانت عيون الناس تلقاه في أسى ، وهو لا يفهم شيئاً، حتى وصل إلى البيت وطرق الباب فلم يكن من مجيب ، وخرج أحد الجيران يعزيه في موت أمه ، ويخبره أن الرجل اليوناني الشريف " هوميروس " هو الذي تحمل كل مصاريف الجنازة ، ورفض أن يشاركه أحد في هذا ، وكم كان حزن جنفياف على الأم الراحلة وكأنها أمها .. اتكأ بللم رأسه على باب البيت وسالت

دموعه بلا ضابط يبكى أمه التي كرست حياتها لأجله ، ولم تفكر قط في الزواج بعد ترملها رغم جمالها وكثرة الذين تقدموا إليها. ثم سار بللم بخطوات وئيدة نحو بيت هوميروس ليسدِّد دينه ، ويلقي لو نظره عابرة على جنفياف إذ يصعب اللقاء.

وكم كان هوميروس كريماً معه ، مضيافاً له ، رقيقاً للغاية رقة الأب لابنه الوحيد ، ورفض رفضاً قاطعاً أن يقبل أي مبلغ من الفضة ، وكم شعر بللم بالندم في قرارة نفسه إذ كيف فكر في أن يحرم هذا الأب الكريم من ابنته جنفياف ؟!

ورغم حزن بللم على أمه إلاَّ أن نفسه قد استراحت بالترحيب الأبوي حتى أنه فكر في أن يتحدث مع هوميروس في أمر جنفياف وتهودها وزواجه منها ، وهو لا يدرى أن هناك خنجراً حاداً مزمع أن يخترق جدران قلبه بعد الخنجر الذي أستقر في قلبه بخبر موت أمه، وإذ بأحد رجال هوميروس يخبره قائلاً :

لقد حملت على الأتان الجبن والزبد والبلح .. سأنطلق إلى بيت جنفياف في عمواس ..هل سيدي تريد شيئاً آخراً ؟

هوميروس : أهديها وزوجها السلام ، وسلمها هذا المبلغ .

ومادت الأرض تحت أقدام العملاق الأخضر ، ولفه الدوار ، وكاد يسقط على الأرض مغشياً عليه ، فلأول مرة يجرب كيف

يُذبَح الإنسان وهو ما زال حيّاً .. تظاهر بالتماسك مستأذناً من هوميروس ، وأنطلق من دار جنفياف قبل أن ينطلق الحمار إلى جنفياف وهو لا يحفظ اتزانه ، ولا يملك ضبط دموعه ، حتى أن هوميروس قال في نفسه : أنظر كم كان هذا الابن باراً بأمه ؟! وكيف هو حزين عليها ؟! آه .. لو كان زوج ابنتي له عشر هذه المشاعر ؟!

وعاد بللم من حيث أتى ، وبالكاد أوصلته قوته إلى كهف المكابي ، وما أن وقف أمامه حتى ألقى بنفسه في أحضانه يبكي بكاء طفل صغير في أحضان أمه ، وعلم المكابي أن هناك كارثة قد أحلت به ، فأخذ يهدئ من روعه ، وبكلماته الحلوة يطيب جراحاته : يا بللم يا حبيبي . هوذا أمك في أحضان القديسين إبراهيم وأسحق ويعقوب.

وهوذا جنفياف ذهبت إلى حال سبيلها ، وأنت صرت حرّاً طليقاً..ألم تكن هذه أمنيتك أن الله يفك قيودك ويحرر أسرك .

دعنا يا بللم نحمل بشجاعة مسؤولياتنا الجسيمة التي سيسجلها التاريخ بأحرف من نور..

ولم يتركه المكابي إلاَّ بعد أن هدأ نفسيته، وجاء الرجال يقدمون له واجب العزاء .

الفصل الثالث عشر
الهانوكاه

وبعد انتصارات عمواس هربت فلول الأعداء قاطعين الطريـــق إلى ديارهم الأنطاكية ، بينما إجتمع حول المكابي شعب غفير مـــن سكان المدن والقرى والجبال ، وكل اخوته الذين كان قد أتى بـــهم من أرض عمون وأدوم والجليل وجلعاد وأسكنهم في اليهوديـــة .. ونهضت الجموع الغفيرة نحو أورشليم مدينة الملك العظيم ، ولكـم اشتاقوا إلى الحرية ، فليل العبودية ما أطوله ؟ وما أقساه؟ ليل أن يتحكم الإنسان في أخيه الإنسان ويذله ويمنعه من عبادة خالقه !! فمنذ ثلاث سنوات والعبادة معطلة في الهيكل.

وصلت الجموع إلى أورشليم فوجدت المقادس خالية ، والمذبح قد تدنس بتمثال الإله جوبيتر القائم عليه، ودم الخنازير الذي سفك فوقه ، وأبواب الهيكل أحرقت بالنار ، والحجرات الداخلية تـــهدمت تماماً ، وتساقطت بعض أحجار الهيكل الضخمة ، بـــل أن بعـــض الشجيرات قد نبتت من بين حجارة الهيكل الذي صـــار مـــهجوراً وخراباً، فمزقوا ثيابهم ، وناحوا نوحاً عظيماً ، وذرّوا الرماد علـــى رؤوسهم لأنهم رأوا خطاياهم مجسّمة في صـــورة هـــذا الخـــراب

العظيم ، ورأوا الغضب الإلهي مُجسَّماً في هذا الدمار والضياع، فبكّت كل إنسان نفسه بشدة وكأنه لأول مرة يتنبه لهذا الخراب ، وسرت بين أفراد الشعب موجه توبة صادقة صاحبتها دموع حارقة غزيرة انهمرت على أرض المقدس ، وأحسَّ كل إنسانٍ أنه مسئول شخصياً عن هذه المأساة، وبالتالي تحرك قلبه لتطهير الهيكل وتجديده ...

وأقام المكابي بعض رجاله ليكونوا متأهبين للقتال فيما لو فكر إنسان من رجال أنطيوخس القابعين في قلعة الأكرا أمام الهيكل أن يتصدى لهم ، ولكن أحداً من بني الأكرا لم يفكر أن يخاطر بحياته من أجل إلهه جوبيتر الذي انهالت المعاول عليه فحوّلته إلى شظايا تتطاير في كل مكان ، وبعد أن حطموا جوبيتر وقف الكهنة حيارى .. لماذا؟ لأنهم لم يعرفوا ماذا يفعلون بمذبح رب الجنود وقد دنسه الملك بدم الخنازير، وبعد مشاورات بين الكهنة، وكان المكابي ككاهن بن كاهن من سبط لاوى طرفاً فيها بصفته الكهنوتية وليس بصفته العسكرية ، فقرَّروا هدم المذبح والاحتفاظ بحجارته إلى أن يقوم نبياً من إسرائيل فيخبر بماذا يفعلون بهذه الحجارة ؟ كما هدموا كل المذابح الوثنية التي أقامها اليونانيون حول الهيكل ، وكذلك كل المعابد التي أنشأوها في أورشليم، فلم

يعد لبعلزبول مكاناً يسكن فيه داخل أورشليم باستثناء قلعة الأكرا ، وأخذوا حجارة غير منحوتة وبنوا مذبحاً جديداً رسم المذبح الأول، واجتثوا الشجيرات التي نبتت بين الأحجار، ورمَّموا الهيكل بكل همة ونشاط ليس الرجال منهم فقط بل النساء والأطفال أيضاً قدموا أعمالهم الممتزجة بمحبتهم ، وبنوا الغرف الداخلية ، وعملوا أواني جديدة للخدمة عوضاً عن الآنية الذهب التي سلبها الكهنة غير الشرعيين غير الأمناء ، وأيضاً ملوك أنطاكية وعملاءهم، ونصبوا مائدة خبز الوجوه ورتبوا الأرغفة عليها ، وأقاموا المنارة وأوقدوا سرجها السبعة ، وعاد شمس البر يشرق على هيكله ، وأقاموا أبواب الهيكل بالمصاريع ، وزيَّنوا واجهة الهيكل بصفائح الذهب ، وكل إنسان منهم لم يكتفِ بأن يبذل ماله بكل سرور وإنما كان يود لو يقدر أن يعطي نفسه أيضاً.

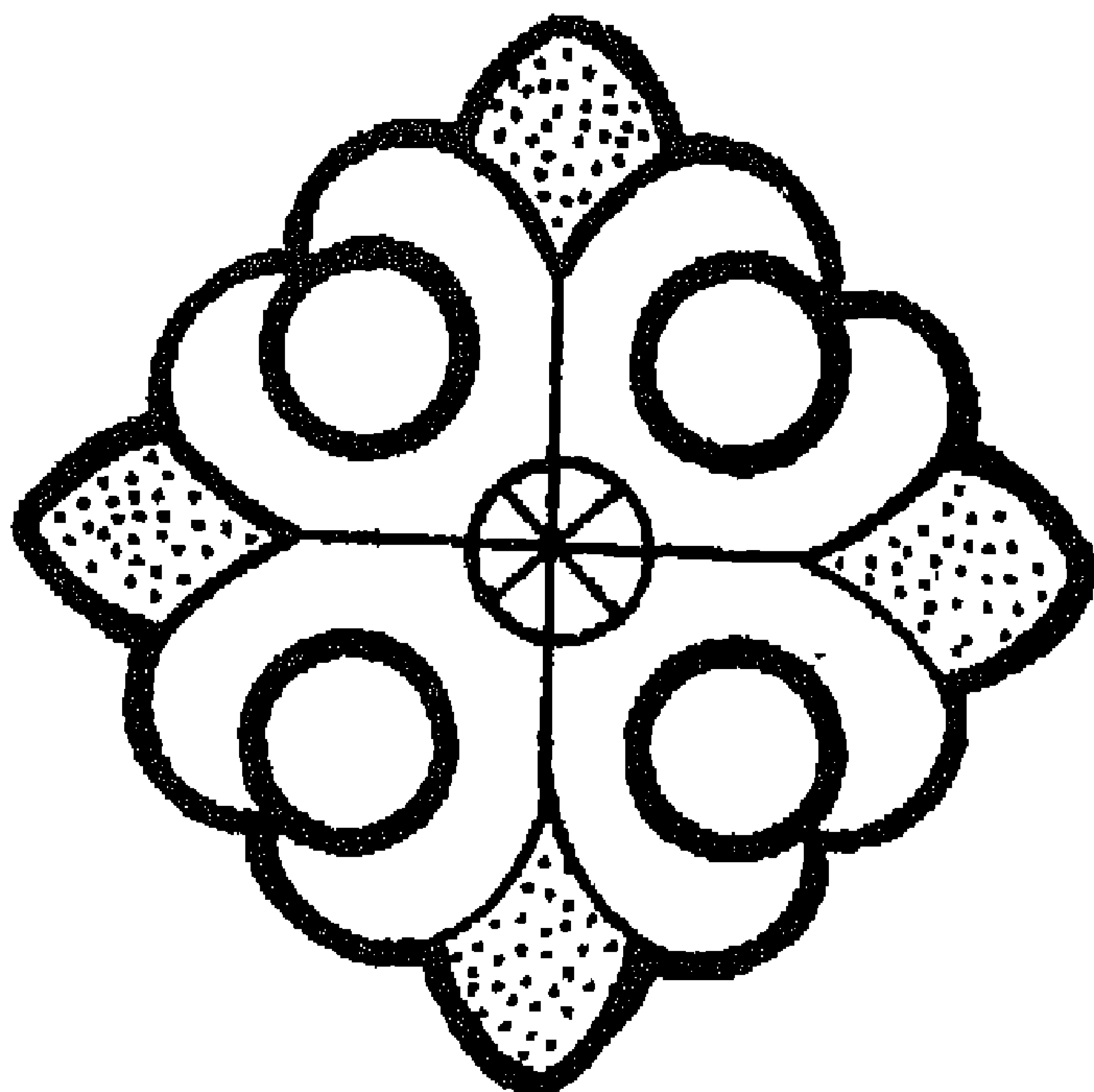
وفي اليوم الخامس عشر من شهر كلسو (ديسمبر) سنة ١٦٤ق.م ، وكان قد مرَّ على تدنيس أنطيوخس للهيكل ثلاث سنين بالتمام والكمال بدأوا في تدشين الهيكل ، وأصعد الكهنة الذبائح والتقدمات لإله السماء ، وسرت موجات عارمة من الفرح ، وعيَّدوا عيداً عظيماً دعوه " الهانوكاه " أي عيد التجديد حيث تم تجديد الهيكل وعودة العبادة إليه بعد انقطاع دام ثلاث سنوات ،

وأيضاً فيه تم تجديد العهود بين كل نفس أمينة وبين الله. كما دعوا هذا العيد " فونا " أي عيد الأنوار ، وأضيئت كل بيوت اليهود بالأنوار الساطعة لمدة ثمانية أيام .. أخيراً أشرقت شمس الحرية على أورشليم ، وتلاقت الأشعة الذهبية بذهب جناح الهيكل فخرت ساجدة لإله الهيكل ، بينما ذهبَ ذهبُ الهيكل يرقص طرباً أمام رب الهيكل ، وحركت النسمات شجيرات الزيتون لترفرف بأجنحتها تشدوا بالسلام لرب السلام في مدينة السلام ، ولو إلى حين .

ثم خرج الشعب وأتوا بأغصان زيتون وأغصان أس وأغصان نخيل وأغصان شجر غبياء وصفصاف الوادي ، وعملوا مظال على الأسطح وفي الساحات وعلى الجبال ، وتركوا مساكنهم وسكنوا في المظال ليتذكروا غربتهم في صحراء سيناء ، وكيف ظلّل الله عليهم بعين عنايته ورعايته ، فعّيدوا عيد المظال ثمانية أيام حسب أحكام الشريعة.

وكتبوا إلى أخواتهم في مصر يخبرونهم بكل ما حدث وعمل الله معهم فقالوا : " فإنهم (الأعداء) أحرقوا الباب وسفكوا الدم الذكي فابتهلنا إلى الرب فاستجاب لنا وقرّبنا الذبيحة والسمين وأوقدنا السرج وقدمنا الخبز " (٢مك١:٨).

ثم اتجهوا إلى أسوار أورشليم فرمموها وحصنوها ، وأقـــاموا رجالاً أشداءاً لحراسة الهيكل . بل أنهم حصَّنوا بيت صور التـــي تبعد خمس غلوات عن أورشليم (نحو ٩٠٠م) لتكون نقطة حصينــة تجاه بني أدوم الذين يكنون كراهية شديدة لشعب الله .



الفصل الرابع عشر
ولمع نجمه

وتمنى يهوذا عن عمق قلبه لو فرصة تجديد الهيكل تكون نهاية المطاف ، وبهذا تنتهي رسالته ويبحث عن نفسه ليكون له زوجة وأولاداً وبيتاً مستقراً، ولكن ليس كل ما يتمناه الإنسان يناله ، وليس كل ما يحلم به يقدر أن يحققه . بل أن الأحداث قد تدفعه دفعاً للسير فوق الأشواك مكرهاً ، لقد كان على المكابي أن يواجه في غضون شهور قلائل قائدين من قادة اليونانيين وهما ليسياس ونيكانور ، ولكن ثقته بإلهه لم تكن لها نهاية ، وهذا ما حدث إذ لم تمر إلاّ شهور قلائل إلاّ وحلّ ليسياس و كان نائباً لأنطيوخس الخامس ابن أنطيوخس الرابع بأرض اليهودية ومعه جيشاً عظيماً يبلغ نحو ثمانين ألفاً من الجنود بالإضافة إلى عدد كبير من الفرسان ، وثمانين من الفيلة المدرَّبة على الحروب والتي يعلو كل منها برج حصين من الأخشاب السميكة يخفي داخله بعض الجنود الذين يطلقون السهام ، وكل فيلة يقودها رجل هندي يعرف كيف يوجهها وسط القتال ، واقسم ليسياس بأن يجعل أورشليم مدوسة لليونانيين ، ويستغل الهيكل كمجالاً للكسب . أما رئاسة الكهنوت

فإنه يبيعها بأعلى سعر لمن يرغب فيها حتى ولـــو كـــان ســـفاحاً ولمدة عام واحد ، ويكسر أنف ابنة صهيون حتى لا تقوم للشـــعب اليهودي قائمة بعد الآن .

وبسهولة استولى ليسياس على بيت حور رغم مناعتها ، ولـــو أنه أتجه بجيشه الجرار هذا صوب أورشليم وربطها لاســـتطاع أن يجذبها ويطرحها إلى اسفل السافلين . أما المكابي فقد جمع رجاله وكالعادة صاموا وتذلّلوا أمام إله السماء وصلوا إلى من بيده الأمر كله :

" يامخلص إسرائيل..مبارك أنت يارب فـــي عـــرش مجـــدك .. مبارك أنت يامن حطمت قوة فرعون أمام شعبك الأعزل .. مبـــارك أنت يامن أسقطت أسوار أريحا بدون ذراع بشري .. مبارك أنـــت يامن أسقطت جليات الجبار أمام الفتى داود .. مبارك أنت يـــامن أسلمت محلة الأعداء بيد يوناثان وحامل سلاحه .. مبـــارك أنـــت يامن أهلكت جيش سنحاريب في هذا المكان لأنه استهزأ بمدينتـــك المقدسة .. يارب إله القوات أنت تُرهبهم من سماك ، وتحل عليهم بالرعدة والخوف ، وتقف يارب ضد قوتهم وتجبّرهم ليضطربـــوا ويهربوا من أمام وجهك .. قم أيها الرب إله السماء وليتبدد مـــن أمام وجهك سائر أعدائك ، وأما شعبك فليكن بالبركة ألوف ألوف

وربوات ربوات " .

واندفع الأبطال يدافعون عن المدينة المقدسة أورشليم ، وإذ بهم يبصرون في السماء فارساً أبيضاً أكثر من الثلج يشهر سيفاً من ذهب ويتقدمهم ، فاستراحت نفوسهم ، وتيقنوا أن السماء تدافع عنهم ضد ليسياس وكل قواته ، فأخذ الجنود يباركون الله ، وقد إمتلأت قلوبهم فرحاً ونفوسهم عزاءاً ، وقاتلوا كالأسود الضارية ، والرب أزعج الأعداء فهربوا من أمام وجوههم وحتى أن ليسياس أصدر أوامره بالانسحاب لأنه علم أن الرب يدافع عن شعبه.

وفكر ليسياس في الأمر جيداً ، فهو لا يريد أن يعود إلى بلاده وإلى ملكه بهذه الصورة المخزية التي إصطبغ بها من قبل نيكانور وجرجياس وبطلمايس ، وهو عاجز عن تحقيق أي انتصار يذكر ، ولذلك فكر في أمر الصلح وأرسل للملك يذكر لهم بعض مآثر اليهود واخلاصهم الشديد وأمانتهم القوية لإلههم ومقدساتهم ، ويستشيره في أمر الصلح معهم ، ويلتمس منه أن يبسط سماحته عليهم ، فأجابه الملك بالرسالة الآتية :

" من الملك أنطيوخس الخامس إلى أخينا ليسياس .

سلام .. منذ أن إنتقل والدنا إلى الإله لم يزل كل اهتمامنا بأهل

مملكتنا أن يعيشوا بلا بلبلة ، وإذ قد بلغنا أن اليهود غير راضين بسبب ما أمرهم به والدنا من التحول إلى سُنن اليونانية ، وأنهم رغبوا في الاحتفاظ بسننهم وعوائدهم فلذلك نحن نأمر برد هيكل أورشليم لهم ، وأن نترك لهم حرية العبادة .

وأنت ياليسياس العظيم أن عاهدتهم في هذا ليعيشوا في طمأنينة ويقبلوا على مصالحهم بارتياح فنعماً تفعل "

أنطيوخس الخامس"

فحل السلام في ربوع أورشليم ولكن للأسف الشديد لوقت قليل، لأن أنطيوخس لم يكمل على عرشه السنتين منذ موت أبيه في أكتوبر سنة ١٦٤ق.م ، فإذ بعمه ديمتريوس يُقبِل بمساعدة الرومان ويغتصب العرش منه ويقتله ، وبعد أن تولى ديمتريوس الأول عرش سوريا جاء إلى أورشليم ، وكان هناك رجلاً شريراً منحلاً يدعى " الكيمس " طمع في رئاسة الكهنوت ، فاستقبل الملك وقدم له إكليلاً من ذهب مع سعفة وأغصاناً من الزيتون ، وعندما سأله الملك ديمتريوس عن أحوال اليهود، قال الكميس : سيدي الملك ديمتريوس .. الكل راضٍ وسعيد بمُلكك السعيد علينا باستثناء المكابي وقومه من الحسيديّين الذين لا يكفون عن إثارة البلابل والقلاقل والفتنة لا يطيقون كل ما هو يوناني .. فياليتك

تتصرف معهم ، وياليتك تبسط حمايتك الملوكيَّة علينـــا .. آه لــو كنت رئيساً للكهنة لأعنتك كثيراً في تأديب المكابي بـــل والقضـــاء عليه قضاءاً مبرماً.

فسرَّ به ديمتريوس الأول وقلَّده رئاســـــة الكـــهنوت ، وكلـــف نيكانور بتجهيز جيشاً والقضاء على المكابي وقومه ، وكان علــى نيكانور الذي ذاق مرارة الهزيمة على يد المكابي من قبل أن يطيع الأوامر الملكية رغماً عن أنفه، وقاد الجيش والفيلة وهو يشك في قدرته على تحقيق الرغبة الملكيَّة ، فهو يعــرف قـــوة وجـــبروت وذكاء وبراعة المكابي ورجاله ، وأنهم يحملون رؤوســـــهم علـــى كفوفهم وليسوا مثل الجنود الأجراء الذين يتبعونه وعندما تحتـــدم نيران المعركة يفرون هرباً ، وهل ينسى نيكانور عمـــــواس ومـــا جرى في عمواس ؟!

ولهذا أثر أن يعرض الصلـــح علـــى المكـــابي فأرســـل إليـــه بوسيدونيوس وتاودرتس ومتتيا، فوافقه يـــــهوذا المكـــابي علـــى ذلك..حقاً أن المكابي الذي تمتع بخصال حميدة وأخـــــلاق دمثـــة جعلت كل من يلتقي به لا يستطيع إلاَّ أن يحبه ، فهو إنسان جـــرَّد نفسه من الهوى الشخصي ، ولم يعش لذاته بل لأمتـــــه ولمجـــد إلهه، وكان شغله الشاغل دائماً وأبداً قضية شعبه ، ولذلـــك كـــان

مثار إعجاب واحترام ليس أتباعه فقط بل حتى معارضيه وأعدائه، وتم عقد الصلح بين نيكانور والحسيديّين . ولم يرق هذا السلام للرجل الشرير الكيمس ، ولم يرق له تمتع أمته بقليل من السلام بعد أن تجرعت الكثير من الويلات ، ولذلك أسرع إلى ديمتريوس الملك يذم له نيكانور وتواطئه مع المكابي ، فاستشاط الملك غضباً وأرسل إلى نيكانور يعلن سخطه عن هذا الصلح وذاك العهد ، ويطلب منه أن يرسل المكابي إليه في أنطاكية حيًّا ، فوقع نيكانور في حيرة ، وصعب عليه الأمر جداً إذ كيف ينقض عهده ؟ وكيف يقبض على المكابي ويرسله للموت في أنطاكية ؟ وفكر نيكانور في حيلة يسلم بها المكابي ، فدعاه إلى لقاء معه ، ودبر له من يخطفه ، وكان المكابي يتابع الأخبار ويرصد الأحداث وبحاسته السادسة استطاع بسهولة أن يعرف ما يجرى حوله ويتوقع أحداث المستقبل ، وكان المكابي قد أحسَّ من اللقاء الأخير مع نيكانور أن قلب نيكانور لم يعد معه مثل أمس وأول أمس ، والبسمة الصادقة قد اختفت وحلت عوضاً عنها البشاشة المصطنعة والابتسامة الصفراء ، ولذلك كان حذراً في لقائه مع نيكانور، وبحكمته وحسن ترتيباته استطاع أن يفلت من الفخ الذي نصبه له نيكانور بعد أن كشفه وفضح نواياه ، وعاد المكابي إلى رجاله

يخبرهم بالمعركة الوشيكة.

وفعلاً جهز نيكانور جيشه سريعاً ونزل عند كفر سلامه ، والتقى به أبطال يهوذا ، وتلاحم الرجال وتقاتلوا كما كان يشتهي الكميس الشرير الذي يدعو نفسه رئيساً للكهنة ، ولم تدم المعركة طويلاً بسبب بسالة رجال المكابي وانخفاض الروح المعنوية وانعدام الدافع لدى رجال نيكانور ، ولا سيما أنهم يعلمون أن المكابي ورجاله أبرياء لم ينقض أحد منهم عهد الصلح، وانتهت المعركة بقرار انسحاب من نيكانور ، وفي انسحابه مرَّ على أورشليم فخرج إليه الكميس وكهنته يرحبون به ويحييونه بتحية السلام ويهوّنون عليه الأمر . فاستهزأ بهم وسخر منهم، ورفع يده على الهيكل، وأقسم أن لم يسلموا له المكابي حيًّا فإنه بحق آلهته ليهدم الهيكل ويحرقه بالنار، ويُشيّد بدلاً منه هيكلاً لديونيسيوس ، ثم أنصرف من أورشليم حانقاً على المكابي والكميس وكل شعب اليهود، ومن الطبيعي أنه لم يجرؤ أحد من الكهنة على تسليم البطل المغوار للخائن الجبان ، وصرخ الأمناء لإلههم ليخلصهم وينقذ بيته وهو استجاب لهم.

ثم عاد نيكانور وحشد جيشاً عظيماً في بيت حورون بعد أن وصلته تعزيزات عسكرية من أنطاكية . بينما نزل المكابي إلى

اداسه ولم يكن معه سوى ثلاثة آلاف رجل ، ولم يكن هناك تعادل أو تقارب على الإطلاق بين الكفتين ، وكالعادة لبس المكابي وأتباعه المسوح ، وتذلّلوا أمام الرب ، وصلوا بصراخ شديد متشفعين بالأباء والأنبياء ولا سيما النبي الباكي الذي بكى سحقى بنت شعبه.

وفي ليلة احتدام المعركة أبصر المكابي في رؤيا رئيس الكهنة الشهيد أونياس باسطاً يديه يصلي من أجل شعبه، وبجواره أرميا النبي رجلاً بهياً بشيبة صالحة يمد يده بسيف من ذهب قائلاً للمكابي : " هذا السيف المقدس هبة من عند الله به تحطم الأعداء " ففرح المكابي بهذه البشرى وأخبر كل أصحابه الذين امتلئوا بالثقة والسعادة ولم يعد أحد منهم يسكن في قلبه شيئاً من الخوف بل كل منهم كان مستعداً لدفع حياته رخيصة من أجل المدينة المقدسة وهيكل رب الجنود.

واصطف جيش نيكانور ، وأقيمت الفيلة في مواقعها ووقف الفرسان متأهبين للقتال ، وفي ساعة الصفر ضربت الأبواق وتقدم جيش نيكانور بالصراخ والأغاني الحماسية بينما تقدم رجال يهوذا بالتسابيح والمزامير ، وسريعاً ما سقط من جيش نيكانور عدد ليس بقليل ، وإذ وجدت البقية من يتصدى لها في أرض المعركة

بقوة وجبروت هربت بعيداً ، وظل المكابي ورجالــــه يطاردونـــهم لمدة يوم كامل من اداسة إلى مدخل جازر.

وفي نهاية اليوم تجمع جيش المكابي واصطف للصلاة وشـــكر الله الذي عظَّم الصنيع معهم، وبينما هم ينظــرون إلـــى مخلفــات المعركة وجدوا نيكانور من بين القتلى ، فقطع المكابي لسانه الذي جدَّف به على إسم إله إسرائيل وأعطاه لطيور الســـماء لتأكلـــه ، وقطع يده اليمنى التي امتدت على هيكل الله وعلقها فــــي اتجـــاه الهيكل ، وعلق رأسه على قلعة أورشليم ، وعيَّدوا عيداً عظيمـــــاً لهذا الانتصار الساحق يوم ١٣من الشهر الثاني عشر آذار بلســام آرام.

وبعد هذه الأحداث الدامية والانتصـــارات الرائعــة لمــع نجــم المكابي ليس في سماءِ إسرائيل فحسب بل في بلاد عديــــدة ، وإذ ضج المكابي وقومه من استبداد الاستعمار اليوناني لذلك فكـــروا في عقد معاهدة مع الرومـــان ، ولا ســيما إنـــهم ســمعوا عــن شجاعتهم وصدقهم وانتصاراتهم التي وصلت إلى أســـبانيا غربـــاً والهند جنوباً، وإنهم لا يطمعون في خيرات البلدان مثل اليونـــان ، ويحكمون بالعدل لأن لهم مجلساً للشيوخ يبلغ نحـــو ٣٢٠رجـــلاً حكيماً يدبرون شئون البلاد ، فأرسل إليهم المكابي رجليـــن مـــن

أحكم رجاله هما اوبولمس بن يوحنا وياسون بن العـــازر، لعمـــل تحالف عسكري مع روما ، فاستقبلهم حكام روما استقبالاً حســـناً جداً، وأجابوهما إلى طلبهما، وجاء في بداية المعاهدة :

" الفلاح للرومانيين ولأمة اليهود في البحر والبر إلى الأبـــد ، وليبتعد عنهم السيف والعدو.. " .

وجاء في بنود المعاهدة أنه إذا تعرضت جيوش رومـــا لحـــرب فإن أمة اليهود تقدم لهم المعونـــة دون أن تدفـــع رومـــا تكلفـــة المحاربين ، ولا تلتزم بتقديم الأسلحة والطعام والأجرة ووســـيلة الانتقال لهم ، وهكذا عندما يتعرض اليهود لخطر الحرب ، ونقشت هذه المعاهدة على ألواح نحاسية، ووقـــع عليـــها قـــادة رومـــا ، وعادوا بها اوبولمس وياسون ، وبناء على هذه المعاهدة أرســـل قادة روما إلى أنطاكية يطالبون الملك بأجراء الحق مع اليهود وإلاّ فإنهم سيقاتلونهم بحراً وبراً ، ولكن للأسف الشديد قبل أن يصـــل رسل روما إلى المكابي كان جرى ما قد جرى ، إذ تم زفاف البطل المغوار.

الفصل الخامس عشر
زفاف الأبطال

ولم تكن نهاية نيكانور نهاية المطاف لكل هذه الأهوال التي واجهها البطل المغوار بشجاعة وثبات، فحياة الأبطال هي حلقات متصلة من الصراع بين الشر والخير، وعندما يكون رئيس الكهنة شريراً، فكم يكون الشر سهلاً ؟! ..أما الرجل يواقيم "الكميس" الذي اشترى رئاسة الكهنوت بالذهب فلم يكن لشروره نهاية.. يدعى أنه رئيس الكهنة المؤتمن على الخراف وفي الحقيقة هو الذئب الخاطف الذي لا يشفق على الرعية بل يقتل ويذبح.

ومما زاد الأمور سوءاً تعيين الملك لشخص لا يقل عن الكميس شراً يدعى " بيكيديس " والياً على البلاد، وكان على وفاق تام مع الكميس إذ ثالثهما الشيطان دائماً ، وعندما جاء إلى الكميس بعض الحسيديّين يسألونه السلم قبلهم وخاطبهم بخطاب سلام من قلب لا يعرف السلام ، وبعد خطابه قبض على ستين رجلاً منهم وذبحهم ذبح النعاج ، وأكثر من هذا منع دفن جثثهم متمثلاً بملكه الشرير، أما بيكيديس فقد جاء إلى بيت الزيت وأنتقم من الذين خذلوه وذبحهم على الجب العظيم ، وسلم بيكديس الكميس السلطة

المدنية بجوار السلطة الدينية ، وعاد هو إلى أنطاكية، فأجتمع المنافقون حول الكميس ، وسفكوا دماءاً ذكية كثيرة حول الهيكل ، بل أن الكميس شجع سكان قلعة الاكرا الموالين للملك للتحرش بالأمناء الذين يريدون عبادة الله في هيكله ، فكانوا يصدونهم عن دخول الهيكل ويضايقونهم ، ولما ضج المكابي من الشكوى من أبناء الظلمة حمل على قلعة الاكرا وحاصرها، ونصب عليها المنجانيق لكيما يقضى على هذا الوكر القائم أمام الهيكل ، ولكن بعض جنود القلعة استطاعوا الهرب وأسرعوا مع بعض اليهود المنافقين إلى الملك يقولون له : " هل تتركنا لليهود الملاعين يقتلوننا ويسلبون ممتلكاتنا ، حتى إنهم يزحفون إلى قلعة أورشليم ليستولوا عليها " .

ولم يذكروا شيئاً عن ظلمهم للشعب ، فغضب الملك جداً وأرسل " باخيدس " على رأس جيش مكون من عشرين ألف جندي وألفي فارس ليقضي على المكابي وكل اتباعه.

وعندما علم المكابي أعدً رجاله للخروج للحرب ، وفي ليلة خروجهم اعترت " بللم " حمى أقعدته عن الخروج مع حبيبه المكابي فنقلوه إلى بيت متاتياس في موديـن ، وكلفوا بعض السيدات بالاعتناء به ، فكان العملاق الأخضر يتألم بسبب الحمى ،

بل بالأكثر لأنه ترك المكابي يخرج للحرب وحده، فمن سيزود عنه ؟! ومن سيحمي ظهره ؟! ومن يقوم بدور الملاك الحارس له ؟!!

ونزل المكابي في الأسا على رأس جيش لا يزيد عن ثلاثة آلاف رجل ، وهؤلاء الرجال عندما أبصروا جيش باخيدس وقوته ومعهم بيكيدس والكميس انحلت قواهم ، وأرادوا أن يثنوا المكابي عن عزيمته ، واقترحوا عليه أن يهرب إلى الجبال حتى يعيد تنظيم قواته وتجميع رجاله وعندئذ يدخل للمعركة . تُرى لو هرب البطل المغوار هل كان هروبه أفضل له ولا سيما أن رجاله انسلوا من حوله فلم يتبق معه أكثر من ثمانمائة رجل ؟! ولو هرب المكابي تُرى هل يمدّ باخيدس يده على الهيكل ويدمره تدميراً ؟! أما المكابي فقال " حاشا لي أن أفعل مثل هذا وأهرب منهم ، وإن كان قد دنا أجلنا فلنمت موت الأبطال ولا نشوّه أمجادنا "

وأحتدم القتال، وقاتل المكابي ورجاله قتال الأبطال ، ولكن ماذا تفعل الشجاعة أمام الكثرة الكثيرة ؟! ولم يكن للمكابي " بللم " يحميه من الطعنات الغادرة فتزين جسده بالجراحات حتى بدأ وكأنه يرتدي رداءاً أرجوانياً يغطي جسده من أعلى رأسه حتى أخمص قدميه، فزاده بهاءاً وضياءاً ، وأخيراً تكاثر الأعداء عليه فسقط البطل مضرجاً في دمائه ، وعندما يوضع الإنسان في البوتقه

وترتفع ألسنة اللهب فقد يتصوَّر أمامه ملاكاً يخلصه ، وتترآى لـه بعض الأمور وكأنه يسمع بأذنيه أصوات النجاة ، وكل هذا ما هـو إلاَّ أصداء لخواطره الجريحة . أما المكابي فبينما كـانت الحيـاة تداعب عينيه فأنه سمع فعلاً الأناشيد الملائكية تزفه للمجد .. لقـد عاش أميناً لإلهه العمر كله محباً لإلهه ولشعبه.

وجاد المكابي بأنفاسه الأخيرة على أرض الأسا ، وبلغ احـترام أعدائه له أنهم سلموا جثته لأخويه يوناثان وسمعان اللذان حمـلاه بكرامة كبيرة ودفناه في مقبرة أبيه بمودين فـي مظـاهرة حـب ضخمة ضمت الآلاف والآلاف ، ولم يتصدى لهم الأعـداء لأنـهم قالوا : أن نفوسهم مرة ، فناح على البطل كل الشعب قائلين:

كيف سقط البطل الذي سيخلص إسرائيل ؟

الظبي ياإسرائيل على شوامخك مقتول ..

إتشحنَّ بالسواد ياعذارى يهوذا لأجل يهوذا المكابي ..

المكابي الأخف من النسور والأشد من الأسود سقط شهيداً ..

طوباك يامكابي أيها الشهيد البتول ..

ما عاد للتراب إلاَّ الجسد التراب ..

روحك في السماء وأنت أنت في القلوب ..

وعمَّ الحزن كل الشعب ، وحتى الذين لم يخلصوا له في حياته

شعروا بالندم والخسارة الفادحة في موته إذ كانت الآمال كل الآمال معقودة عليه لخلاص إسرائيل من الحكم اليوناني القاسي.

وسقط خبر سقوط البطل على رأس بللم سقوط العاصفة فاسودت الدنيا في عينه، وعصرته الحمى أكثر ، ومادت من تحته الفراش ، واعتراه دوار الموت ، وشعر أنه يموت ويموت ويموت، وكأنه يهبط إلى سرداب طويل بلا نهاية، وفقد كل إحساس بالحياة ..

كانت بجواره إحدى السيدات تطيبه بالكمادات الباردة لعل حرارته تهبط ولو قليلا . أما جنفياف فقد تركت عمواس بعد أن طردها زوجها الشربر وطلقها لأنه فشل في الحصول على ميراثها من أبيها وهو بعد حي ، وعادت إلى مودين ، وعاشت حياتها كابنة لإبراهيم ولكن في السر وقد رذلت كل آلهة الأمم، فلم تكف جنفياف عن التردد على بللم ، وكلما عادت إلى بيتها فأنها تختلق الأسباب للخروج، فتخرج وتذهب إلى بللم ، وأحاط ببللم أحباءه وما أكثرهم ، بل أن بعض اليهود الذين اصطبغوا بالصبغة اليونانية وقاتلهم بللم دون أن يقتلهم ، وشعروا إنهم مدينون له بحياتهم جاءوا يفتقدون سلامته ، وأمضى بللم أياما عصيبة بين الموت والحياة حتى فقد الكثيرين الأمل في نجاته ، وقال البعض :

" أن بللم والمكابي اللذان عاشا معاً لابد أنهما يموتان معاً.. المكابي لم يفارق بللم وحتماً بللم سيلحقه ". الوحيدة التي لم تفقد الأمل في نجاة بللم هي حبيبته جنفياف التي لم تكف عن زرف الدموع لإله إسرائيل لكيما ينقذ حبيبها من الموت ..

ويوماً فيوماً تحقق إيمان جنفياف إذ بدأ بللم يتعافى ويعود للحياة، وبمجرد تعافى بللم رثى حبيبه بدموع قلبه :

آه ياصديقي ...

كيف رحلت وتركتني وحيداً ؟!

رحلت وأنت تعلم أنك كنت كل شيء ليّ .. أبي وأمي .. أخي .. وأختي .. حياتي وصديق عمري .. فكيف رحلت ؟!

رحلت وأنت تعلم أنه ليس ليّ راحة إلاَّ في جنة قلبك ، ولا عزاء إلاَّ بجوارك .. فلماذا رحلت ؟!

رحلت وأنت توقن أنك تعيش فيَّ وأنا أعيش فيك .. فلماذا رحلت ؟!

آيه أيها الموت الجبار .. شطرت بسيفك البتار القلب الواحد .. حملت شطراً للتراب وأملت بشطري إلى أسفل الأرض .. كيف أحتملُ آلاماً لا تقاس وأوجاعاً لا تحتمل ؟!

آيه أيها الموت الجبار.. ألم ترى كيف حمل المكابي البطل آلام أمتنا حتى صارت أمالها معقودة عليه؟ أتخطف المخلص .. فمن

سيخلصنا ؟! .. أتقهر المنقذ .. فمن سينقذنا ؟!

آيه أيها الموت الجبار .. آه لو كنتَ رحيماً بعض الشيء وحملتني معه ولم تتركني يتيماً هكذا !!

آيه أيها الموت الجبار .. هل أنت معصوب العينيين لا ترى .. قاس القلب لا ترحم .. أصم لا تسمع؟ حقاً ما أقساك على بني البشر.أما أنت ياملاكي فطوباك أيها البطل الشجاع الذي لم يرهب الموت .

طوباك ياموسى الجديد الذي حمل أثقال شعبه ..

طوباك يايشوع الجديد يا من خضت المعارك والرب كان معك حتى لمع نجمك في سماء إسرائيل ..

جهادك لن يضيع ..

حبك لن يفنى ..

دمك لم ينسكب على الأرض سكيباً بلا معنى ..

لقد وضعتَ بذرة الخلاص وغداً سنجني ثماره ..

قدتنا عبر الظلام وغداً ستشرق علينا شمس الحرية ..

أنت كنز الذهب النقي الذي لا غش فيه .. أوصدت قلبك ياصديقي ضد كل هوى العالم ..

سلكت بالكمال أمام إلهك ونفسك وشعبك ..

ستعيش فينا ما حيينا إلى أن نلقاك ..

سنحتضنك في قلوبنا ونسير على دربك ..

طوباك يامكابي ياملاكي طوباك ..

وفي ذات يوم كانت جنفياف بجوار بللم فجاء من يخبرها بأن منزلها إنهار على من فيه ، فأسرعت جنفياف يرافقها بللم ، وإذ بالمنزل قد انهار تماماً على رأس أبيها هوميروس وأمها وأخيها جافي ، وقد شاركت الأسر اليهودية جنفياف مأساتها، فرفعوا الأنقاض وأخرجوا جثث القتلى ودفنوها . أما جنفياف فلم يكن لها ملاذ غير بللم ولا مأوى إلاَّ بيته ..

مرت فترة الحداد ، واستطاعت جنفياف أن تعلن إيمانها بإله إسرائيل دون خطورة تهددها ، لأن الذين طالما وقفوا ضد إيمانها لم يعد منهم أحد على قيد الحياة.

غير أن هناك أمراً كان يقلق جنفياف، وهو بكاء "هوشع" أحد شيوخ مودين وانتحابه الشديد على موت أبيها بل أن هذا الأمر صار موضع تساءل وتعجب الكثيرين ، إذ كيف يبكي شيخ يهودي رجلاً أممياً بكاء مثل هذا ؟! وأحست جنفياف بقلبها المرهف أن وراء هذا الشيخ سرّاً يخص أبيها ، فراحت تسأله وتلح عليه لكيما يكشف لها عن هذا السرّ ، ولكن هذا الرجل الحكيم الذي طالما

أودعه الكثيرون أسرارهم لم يكن من السهل على الإطلاق أن ينتزع أي شخص سراً ولو بسيطاً من كنز قلبه.

غير أن هوشع فتح قلبه لجنفياف وفتح فاه يُعلمها بسرّ أبيها ليس لشيء إلاّ لأنه عرف وتأكد من تهودها: يابنتي العزيزة أن أبيك عاش في الصورة أممياً ، ولكنه في لحقيقة قد صار يهودياً عبداً ليهوه وابناً لإبراهيم قلباً وقالباً، فمنذ أن عاش مذبحة الأبطال أليعازر وزوجته سالومي وأولادهما أبيم وأنطونيوس وعوزيا وأليعازر وانيانا وسامونا ومركلوس، وشاهد المكابي وأبطاله يوسدون أجساد الأبطال بوقار عظيم ، رأى ما لم يره أحد إذ شاهد ملائكة منيرين يظللون على أجساد الشهداء ، فعرف الحقيقة وآمن بإله إبراهيم ، فكان يتخفى ويصنع الخير لليهود، وعال الكثيرين من فقرائهم .. كان يتخفى ويقود أهل صور لدفن الشهداء الذين كان يقتلهم جنود الملك ولا يجرؤ أحد على دفنهم.. كان يرسل الدواب محمّلة بالغلال إلى أبطال قمران .. كان يقدم التبرعات الكثيرة للهيكل .. هو أكثر من فرح بتجديد الهيكل حتى كاد يرقص فرحاً ، وقدم كثير من الذبائح لإله إسرائيل .. كان صاحب رؤى وأحلام ، فالرب الإله انعم عليه بالكثير، حتى أن موسى كان يظهر له ويفهمه ما عصى عليه فهمه من التوراة ،

وكان دانيال يشرح ويوضح له الرؤى والنبوات الغامضة .. حقاً ياابنتي أن أبيك هوميروس أتى من بعيد ولكنه سبق الكثيرين من أبناء إبراهيم للملكوت..

وكم كانت تعزية جنفياف .. لقد طاب قلبها بذاك الفارس المجهول ، وطوبت جنفياف أبيها هوميروس أبن إبراهيم الأمين، وثارت داخلها أشتياقات جديدة لتكريس حياتها لإله إسرائيل .

أما كل الذين كانوا يعرفون قصة الحب التي ربطت بين قلبيّ جنفياف وبللم ، وما أكثرهم ، فقد كانوا يتوقعون أن بللم سيتزوج سريعاً من جنفياف ، ولكن الحقيقة أنه بعد موت المكابي أصبحت الحياة في عيني بللم كلا شي ، وشعر بتفاهة الحياة وسرعة زوالها ، وإنها إن كانت تمنح الإنسان لحظات قليلة من السعادة فإنها تجود عليه بساعات وأيام من الأحزان والدموع والأوجاع.. لقد زهد بللم هذه الحياة وتعلق قلبه بالسماء حيث حبيبه المكابي الكنز النفيس الذي حمل اسم إلهه بحب وأمانة ، وإذ زهد بللم هذه الحياة وانفتحت عيناه نحو الأبدية تخلى بإرادته عن حبه لجنفياف، وإذ تهيأت لهما الفرصة ليجلسا معاً تحت شجرة الزيتون التي طالما كانت شاهدة على حبهما ، وإذ مالت الشمس للمغيب ، وشمس المغيب لها مغزى خاص في نفس كل منهما،دار

الحديث الآتي :

بللم : جنفيافي ..أنتِ تعلمين كم كان حبي لك صادقاً قوياً جارفاً ؟!

جنفياف : وأنتَ تعلم أن حبي لك لم يكن أقل من هذا ..

إنني تزوجت من زوجي رغماً عني وتحت إلحاح وضغط أسرتي .. لم أرَ في زوجي صورتك، ولا صفة من صفاتك الحلوة.. طمع في ثروتي وميراثي من أبي .. أذاقني العذاب أشكالاً وألواناً .. حاولت مراراً وتكراراً أن أحتويه دون جدوى .. كان مسكناً للجيئون ، واليوم لم يعد لي أحد غيرك..

بللم : لا .. يا جنفيافي.. أهل مودين كلهم أهلك وأسرتك .. الجميع يحبونك وقلوبهم قد صارت مسكناً لك .. في بيت المكابي الذي عشتُ وتربيتُ فيه تكون أقامتك ..

جنفياف : وأنتَ يابللم.. ألم تكن تنتظر هذه الظروف المؤاتية منذ سنين طويلة ؟!

بللم : جنفيافي .. ماذا ترين في هذه الحياة ؟

جنفياف : إنها حياة مليئة بالمشقة .. لا أظن أن الله خلق الإنسان لمثل هذا العناء .

بللم : نعم .. نعم أن الله لم يخلقنا لمثل هذا العناء .. من حبه جبل الإنسان ليكون معه دائماً في السماء .. حبيبي المكابي البطل

المفوار ذهب ليكون معه.

ولهذا قررت يا جنفيافي أن أعيش مع نساك قمران حياة التقشف والفقر والبتولية والطاعة .. حياة الصلاة والتأمل والهدوء .. ذلك إن سمحت لي بهذا ، وبنفس راضية ..

جنفياف : من كل قلبي اسمح لك.. من كل قلبي أتمنى لك كل توفيق .. ليحفظك إله إسرائيل ، ويظلل عليك بملائكته ..

بللم : وأنت ياجنفيافي .. ماذا ستفعلين ؟

هل ستتزوجين إن آتتك الفرصة المناسبة لذلك ؟

جنفياف : كلا .. كلا لن أرتبط بأحد قط ..

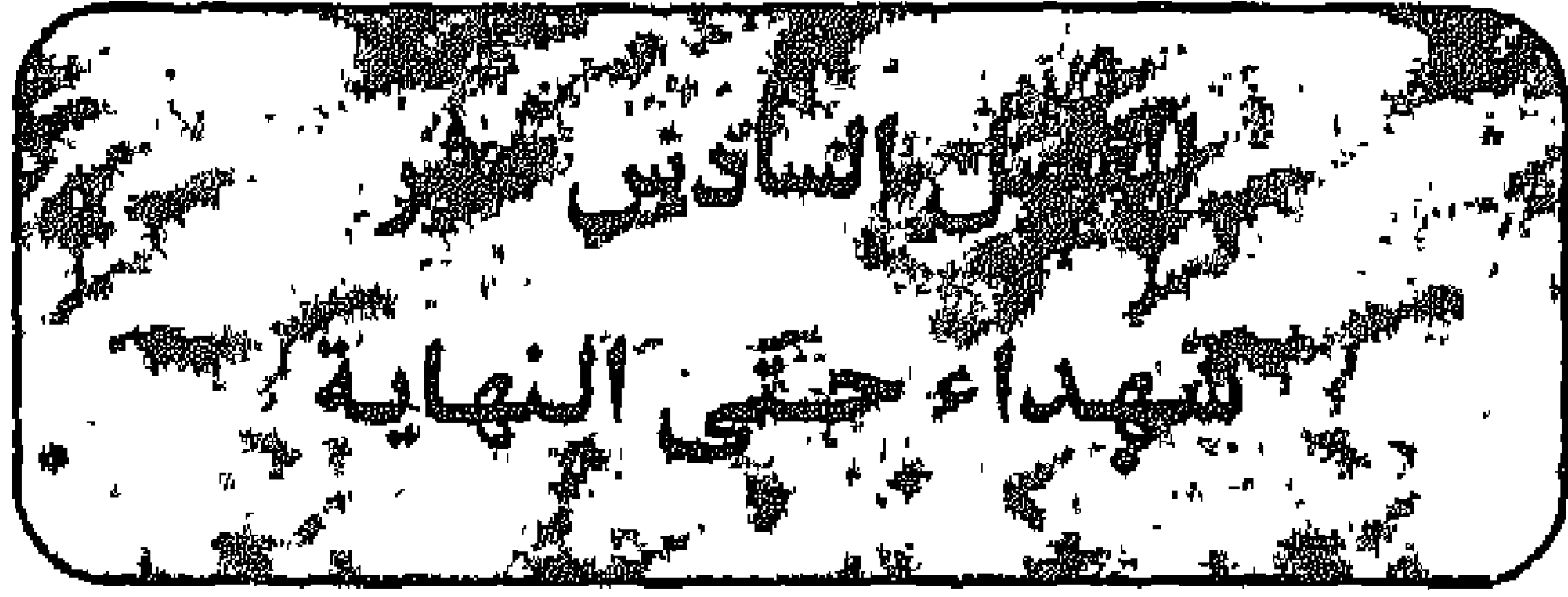
عريسي هو العريس السمائي .. سأكرس نفسي له .. سأخدمه في صورة أولاده اليتامى والأرامل ..

تعجب بللم من هذا التجاوب السريع من قبل جنفياف ، وقال في نفسه ربما السر هو هوميروس .. وودعها ودموع قلبه تغالب عينيه : وداعا .. وداعا جنفيافه.. يا عروس العريس السمائي .. تذكري أن الأيام ستمر سريعا سريعا .. تذكري أن العمر لحظات .. تذكري أن البتولية هي الحياة الملائكية.. تذكري أن الحياة الأبدية هي الله ذاته .. إلى أن نلتقي معا في السماء حيث الحب الحقيقي الخالد إلى الأبد .. كوني أمينة إلى النهاية من

أجل الإكليل ..

آيه أيها الحب الإلهي الذي يجتاح القلوب الأمينة ويحملها إلـــى الملكوت السمائي.





وعاد الشعب الذي عاين أمجاد المكابي وحروبه وانتصاراتـــه ، الشعب الذي فرح بتطهير الهيكل ، وعودة العبادة، وتــذوق طعــم الحرية ..عاد هذا الشعب للتشتت كخـــراف لا راع لـــها إذ قُتِـل الراعي الأمين في معركة الأسا ..عاد الشعب يجتر آلام العبوديـــة المرة من الخارج والداخل ، فمـــن الخـــارج الجيــش الإنطـــاكي وانتصاراته، وبيكيديس وتجبره ، ومن الداخل الكميـــس رئيـــس الكهنة الذي يصلح لأن يكون رئيساً لإحدى عصابـــات اللصـــوص العاتية لكنه لا يصلح قط أن يكون إنساناً سوياً ..لقد طغى وتكـــبر هذا الكميس وأراد أن يزيل السياج الفاصل بين القـــدس والفنـــاء الخارجي (رواق الأمم) ، لكيما يعطى الفرصة للأمم للدخول مـــن هذا الفناء إلى القدس ، فاستحق العقاب الإلهي من أوسع أبوابه ، وضربه ملاك الرب بالفالج وانعقد لسانه فلم يقدر أن ينطق ببنـــت شفة ، ومات وهو في أشد العذاب ولم يكـــن قـــد مضـــى علـــى استشهاد بطل يهوذا أكثر من عام ، وتحققت فيه نبوءة زكريا النبي " فقال لي الرب خذ لنفسك بعد ادوات راع أحمق. لأني هانذا مقيـم

راعياً في الأرض لا يفتقد المنقطعين ولا يطلب المنساق ولا يجبر المنكسر ولا يربيّ القائم ولكن يأكل لحم السمان وينزع أظلافها. ويل للراعي الباطل التارك الغنم. السيف على ذراعه وعلى عينه اليمنى. ذراعه تيبس يبساً وعينه اليمنى تكلُّ كلولاً " (زك ١:١٥-١٧)

وبعد موت الكميس ظل منصب رئيس الكهنة شاغراً. بينما ظل الشعب مشتتاً بلا راعي ولا قائد ولا رئيس نحو سنتين يعاني من مرارة الاضطهاد اليوناني ، فاتجه الشعب بقلبه إلى يوناثان شقيق البطل المغوار يناشده أن يترأس عليه، ويحارب حروب الرب ، وينقذهم من جور بيكيدس ، وكان ليوناثان شجاعة المكابي بينما كان يفوقه ذكاءاً ودهاءاً وحيلة ، فوافقهم على طلبهم، وحمل رأسه على كفه، وبدأ يجمع كل رجال يهوذا المشتّتين وأتجه بهم إلى جبال قمران بينما ترك مسؤولية النساء والأولاد لأخيه الأكبر يوحنا.

وبينما كان يوناثان مشغولاً بجمع الرجال وإذ به يتلقى الضربة الأولى من بني يمرى الذين هجموا على النساء والأولاد ومعهم يوحنا وبعض الرجال وذبحوهم جميعاً بحد السيف ، فقاد يوناثان رجاله وأنتقم من بني يمرى الذين مرّروا حياته بقتلهم هؤلاء

الأبرياء ، ولم يكد يوناثان ينتقم من بني يمرى إلاّ وانبرى له بيكيدس بجيش عظيم طالباً تأديبه، وقتل بيكيدس كثيراً من رجال يوناثان الذي لم يعدوا العدة لهذا الحشد العظيم ، وحاصر بيكيدس وجيشه يوناثان ورجاله أمام نهر الأردن ، ولم يجد يوناثان مفراً إلاّ أن يلقى بنفسه في النهر ويعبر في الاتجاه الآخر مع بقية رجاله، واكتفى بيكيدس بهذا التأديب ليوناثان .

ورغم هذا فأن يوناثان حاول ثانية تجميع رجاله، وبينما هو وأخيه سمعان في بيت حجله أعاد بيكيدس الكرة ، وحاصرهم ونصب المنجانيق عليهم ، ولكن يوناثان استطاع مع بعض أبطاله كسر الحصار ، وإحراق المنجانيق وقاتلوا قتال الأسود الضارية فانكسر بيكيدس ، ولجأ بيكيدس إلى عقد معاهدة صلح مع يوناثان ورجاله ، وأعاد لهم أسرى اليهود.

وفي أثناء هذه الأزمات حدث صراع على عرش سوريا أفاد منه يوناثان بذكاء ودهاء ، فقد ظهر الإسكندر بالاس الذي إدعى أنه إبن أنطيوخس الرابع ، وسعى إلى إنتزاع العرش من ديمتريوس ، وساند الرومان الإسكندر بالاس ، فزايد كل من الإسكندر وديمتريوس على يوناثان ، فكل منهما يريد أن يكسبه لصفه ، وأرسل الإسكندر إلى يوناثان يقول له :

" من الملك الإسكندر إلى أخيه يوناثان سلام ..
لقد بلغنا عنك أنك رجل شديد الجبروت ، وخليق بأن تكون والياً ، فنحن نقيمك اليوم كاهناً أعظم على أمتك ، وتُسمى ولي الملك وتهتم بمالنا، وتبقى في مودتنا وأرسل إليك ارجواناً وتاجاً من ذهب "

كما أرسل ديمتريوس إلى يوناثان يغريه برفع الجزية وكذلك جميع أنواع الضرائب المفروضة على الزواج والزروع والأشجار والمواشي ، ووعده بالتخلي عن قلعة الاكرا ، ورد جميع الأسرى من اليهود، وأن تصير أورشليم مدينة حرة ، وأن يتحمل هو شخصياً تكلفة الذبائح التي تقدم في الهيكل ، بالإضافة إلى نفقات ترميم الهيكل وتحصين الأسوار ، وأن يسمح بتعيين ثلاثة آلاف شخص يهودي في الجيش الملكي .

وعندما طالع يوناثان كلاً من الرسالتين صدق وعود الإسكندر بالاس ولم يصدق ديمتريوس الذي قتل شقيقه البطل المغوار يهوذا ، وأذل الشعب ووضع أنفه في الطين ، وفعلاً قبل يوناثان كلام الإسكندر بالاس ، فأقامه الإسكندر رئيساً للكهنة يوم ٢٥من الشهر العاشر سنة ١٥٢ق.م بعد أن ظل هذا المنصب شاغراً لمدة سبع سنوات ، ففرح بنو إسرائيل بهذا ..

وانتصر الإسكندر بالاس على ديمتريوس كما توقع يوناثان ، فكرَّم الإسكندر يوناثان إذ أمر رجاله أن ينزعوا عنه ثيابه ويلبسونه الأرجوان ليجلس بجواره . ثم أمر عظماءه أن يخرجوا به إلى المدينة وينادوا بأن كل من يتعرض ليوناثان بمكروه فإنه يتعرض للملك الإسكندر شخصياً، وأقامه الملك والياً على أرض يهوذا، فجمع يوناثان بين السلطة الدينية والمدنية ، ورغم فرحة الشعب العظيمة بكل هذه المكاسب التي حققها يوناثان فإن بعض المدققين الحسيديّين قد إعترضوا على تولى يوناثان منصب رئيس الكهنة وهو ليس من بيت صاداق رئيس الكهنة ، وأن الأحق بهذا المنصب هو الإبن الثالث لأونياس الذي نزل إلى مصر وأسَّس مجمعاً في " ليوثتو بوليس " أي سيدة البر ، ثم عاد واختبأ في قمران، أما هؤلاء المدققين فقد افرزوا أنفسهم فدُعوا بالفريسيين.

ورغم أن يوناثان كان قائداً سياسياً ودبلوماسياً محنكاً أكثر منه قائداً عسكرياً إلاَّ أنه سقط في شباك الخيانة ، فقد ظهر شخص يدعى " تريفون " وطمع في العرش حتى أنه استولى على بتولمايس ، وكان شخصاً ماكراً ، ويعلم جيداً أن يوناثان حليفاً للملك الإسكندر بالاس ، فرسم تريفون خطته على أساس القضاء على يوناثان أولاً ، وأرسل إلى يوناثان مُظهِراً ندمه ودعاه ليتسلم

مدينة بتولمايس ، فابتلع يوناثان الطعم وذهب إليه بصحبة ألـــف من رجاله، وبمجرد وصولهم إلى المدينة أغلق تريفـــون عليـــهم الأبواب وقتل جميع الرجال ، واعتقل يوناثـــان ليســـاوم عليـــه ، وارسل إلى أخيه سمعان يطالبه بمائة قنطار فضة ، وأن يرسل له ابني يوناثان كرهائن حتى يطلق يوناثان .

ورغم شك سمعان في صدق نوايا الثعلب الماكر إلاّ أنه قدم لــه ما أراده لئلا يكون صادقاً في كلامه ، ولكن تريفون الذي لا يعرف شرف الكلمة أخذ الفضة ، وقاد يوناثان إلى الأراضـــي الســـورية وقتله هناك فصار يوناثان الشهيد الرابع في اخوته بعـــد العـــازر والمكابي ويوحنا الذين سبق زفافهم للمجد، ولم يتبقَ من إخوتـــه غير سمعان، فناح على يوناثان كل بنو إســـرائيل .. لقـــد تســـلم يوناثان قيادة شعب مشتَّت ضائع فاستطاع خلال سبعة عشر عامـــاً (١٦٠-١٤٣ ق.م) أن يكوّن جيشاً قويـــاً ويقـــود شـــعبه نحـــو الاستقلال الوطني.

وبموت يوناثان افتقد الشعب دور القائد الراعـــي ، فرشـــحوا سمعان الابن الأخير لمتاتياس ليتحمل المسؤولية ويقـــود الشـــعب نحو الحرية ، وكان سمعان ملاصقاً لأخيه المكابي ويوناثان وقـــاد معهما معارك عديدة ، وتعلم منهما كيف يكـــون رجـــل سياســـية

ورجل حرب في آن واحد، فتولى سمعان الرئاسة وتعامل مع الثعلب الماكر "تريفون " قاتل يوناثان، وقابل مكره بمكر ودهائه بدهاء ، وتحالف مع ديمتريوس ضد تريفون حتى أسترح منه.

وطلب سمعان من ديمتريوس الملك أن يرفع الضرائب عن شعبه لأن البلاد قد تعرضت لسلب تريفون فوافق الملك على طلبه، فكانت هذه أعظم خطوة في طريق الاستقلال . كما أن الملك أقام سمعان رئيساً للكهنة ، وسمح له بصك عملات نقدية ليستخدمها في المعاملات التجارية، وأعطاه سلطاناً على قلعة الاكرا بأورشليم فهدمها سمعان وأزال التل الذي أقيمت عليه ، وفي عهده عاش الشعب في سلام لم يره منذ أيام الملك سليمان، فاستراحت الأرض من الحرب ، وجلس كل واحد بجوار كرمه وجوار تينته ، ورغم أن الأرض كانت تتعرض من وقت إلى آخر لهجمات الأعداء لكن سمعان اليقظ كان يردهم بقوة ، وعندما شاخ سمعان كان يكلف ابنيه يوحنا هركانس وأخيه يهوذا بهذه المهام.

وقد عظَّم مجلس الشيوخ اليهودي سمعان واعترفوا به رئيساً عاماً وقائداً حربياً ورئيساً للكهنة ، وسجلوا ذلك على حجر وضعوه في الهيكل " إن سمعان رئيس كهنة مستديم إلى أن يأتي نبي لتعيينه " ، ومن شهرة سمعان كتب إليه الرومان يجددون

معاهدة التحالف مع الشعب اليهودي ، ومن وفاء سمعان لوالديه واخوته أنه أقام نصباً تذكارياً في مودين على قبورهم ، وكان هذا النصب عالياً حتى أن المسافرين في البحر كانوا يرونه ، وأقام على القبور السبعة سبعة أهرامات زينها بالنقوش وأقام حولها أعمدة عظيمة نقش عليها سفن وأسلحة.

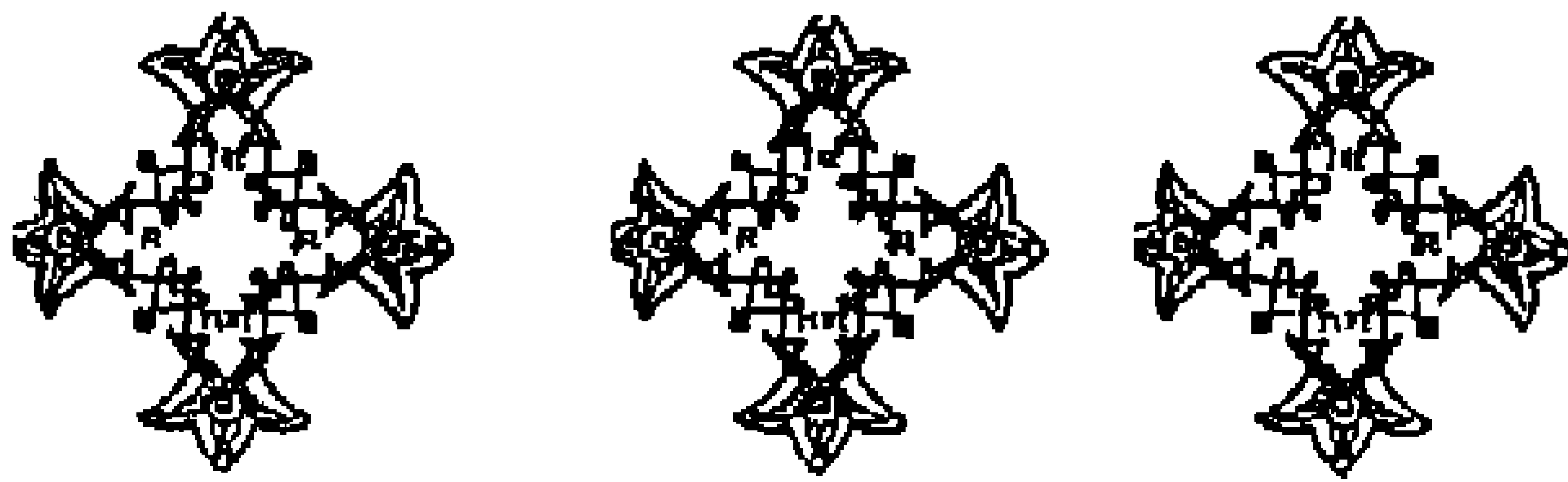
أما نهاية سمعان الحكيم فقد جاءت مشابهة لنهاية أخيه يوناثان ، فكل منهما تعرض للخيانة نتيجة الطمع في منصب الرئاسة ، فبطولمس ابوباس زوج إبنة سمعان كان حاكماً لأريحا، وطمع في منصب حماه سمعان ليكون والياً على اليهودية ، فانتهز فرصة مرور سمعان عليه مع ابنيه ماتاتياس ويهوذا وبعض الرجال ، ودعاهم إلى وليمة ، ودبر لهم مذبحة، فجرت دماءهم الذكية أمامه دون أن يهتز قلبه ، وبينما زُفت أرواح الأبطال للمجد أرسل الخائن يوزع الذهب والفضة على رؤساء الجيش . كما أرسل أتباعه ليغتالوا يوحنا هركانس ابن سمعان لكيما يخلو له الطريق تماماً إلى كرسي الرئاسة ورئاسة الكهنة، ولكن يوحنا كان قد بلغه ما حدث لأبيه وشقيقه ماتاتياس ويهوذا ، فأستقبل أتباع بطولمس زوج شقيقته وقبض عليهم ، وبقتل سمعان انتهى تاريخ أسرة ماتاتياس الكاهن بعد أن قادت عبر أبنائها المكابي

ويوناثان وسمعان الشعب اليهودي خلال ٣٣سنة نحـــو الحريــة والاستقلال ، وقد جاد الأبناء الخمسة بأرواحهم واستشهدوا من أجـــل أمتهم العظيمة التي وقفت على هامة القرون تشهد لإلهها يهوه .

تمت بمعونـة الله

٣٠ بابة سنة ١٧١٨ ش - ٩ نوفمبر سنـة ٢٠٠١ م

عيد تكريس كنيسة مار مرقس الرسول بالإسكندرية



عصر المكابيين (١٦٧-٦٣ ق.م) في سطور

١- بداية الحركة المكابية على يد متاتياس الكاهن وأولاده يهوذا المكابي (١٦٧-١٦١ ق.م) ويوناثان (١٦٠-١٤٣ ق.م) وسمعان (١٤٣-١٣٥ ق.م) كما رأينا في هذه الرواية.

٢- يوحنا هركانس بن سمعان (١٣٥-١٠٤ ق.م)

أ. في عصره هاجم أنطيوخس السابع ملك سوريا أورشليم ، ففتح يوحنا هركانس قبر داود وأخرج منه الكنوز، وجمع جيشاً عظيماً للدفاع عن البلاد.

ب. أتجه يوحنا للتوسعات، فهدم معابد السامرية الوثنية ، وفرض سلطانه على بني أدوم ، وأجبرهم على ممارسة الختان.

ج. عقد معاهدة التحالف الثالثة مع روما ، ووصل بالبلاد إلى مرحلة الاستقلال الكامل.

د. صك نقود باسمه كُتب عليها " رئيس الكهنة ورئيس جماعة اليهود المتحدة ".

قال عنه المؤرخ اليهودي يوسيفوس " أن الله منحه ثلاث

مواهب عظمى وهي الحكم وموهبة الكهنوت وموهبة النبوة لأن الله معه "

٣- أرسطوبولس (١٠٤-١٠٣ ق.م)

أ. ابن يوحنا هركانس ، وعهد له أبوه برئاسة الكهنوت ، وعهد لأمه بالسلطة الملكية. غير أن أرسطوبولس أمر بسجنها ومنع عنها الطعام حتى ماتت جوعاً.

ب. أعتقل ثلاثة من أخوته ، وترك الأخ الرابع " انتيجونوس " ولكن بعد ذلك وشت به سالومي زوجته (زوجة ارسطوبولس) فأمر بقتله.

ج. حلَّ به الغضب الإلهي ، وضُرب بداء في أمعائه فظل يقاس من العذاب حتى لفظ أنفاسه ، ولم يستكمل في ملكه أكثر من عام واحد.

٤- إسكندر حناؤس (١٠٣-٧٦ ق.م)

أ. ابن يوحنا هركانس تزوجته سالومي أرملة أرسطوبولس شقيقه ، وأقامته ملكاً ورئيس كهنة.

ب. صرف جل اهتمامه في توسيع تخومه ، ولم يهتم بالأمور الدينية ، ولم يتقن أداء الطقوس حتى أنه في أحد أعياد المظال استهان به الشعب، وقذفه بعض الفريسيين

المتشددين بالتفاح المتعفن وسعف النخيل وأغصان الزيتون ، فاستباح دمهم حتى أنه قتل ستة آلاف شخصاً منهم، ولم يكتفِ بهذا إنما أختار ثمانمائة من قادتهم وقام بصلبهم في أورشليم ، وقبل أن يلفظوا أنفاسهم أتى بنسائهم وأولادهم وذبحهم أمام أعينهم ، وعند موته وبسبب تبكيت ضميره أوصى زوجته سالومي بالفريسيين خيراً.

٥- الملكة ألكسندرا (٧٦-٦٧ ق.م)

أ. هي سالومي زوجة أرسطوبولس ثم إسكندر حناؤس تولت المُلك وغيرت اسمها إلى ألكسندرا.

ب. عُرِفت بالتقوى والاتزان ، وعوضت الفريسيين ما ذاقوه من اضطهادات على يد زوجها إسكندر حناؤس ، فانتعش الفريسيين في عصرها ، وكان لهم الكلمة الأولى ، وأسّسوا مجمع السنهدريم.

ج . بعد موتها دار صراع على المُلك بين ابنها الأكبر رئيس الكهنة يوحنا هركانس ، وشقيقه الأصغر ارستوبولس الذي ينال تأييد الصدوقيين.

٦- الاحتلال الروماني (٦٣ ق.م)

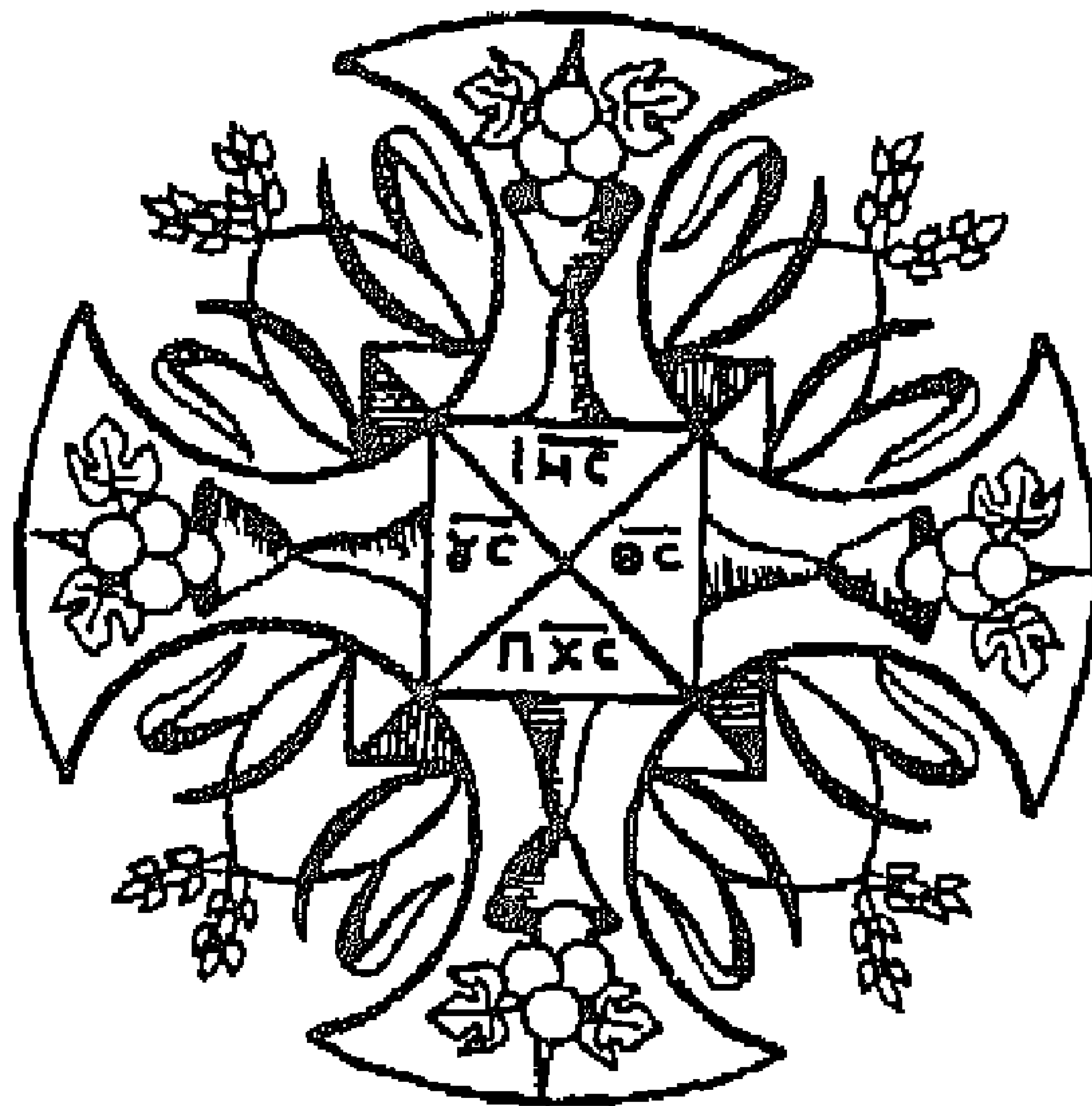
أ. استغلت روما الصراع الدائر بين أبني الملكة ألكسندرا يوحنا هركانس وارستوبولس ، وفي سنة ٦٤ ق.م أتجه بومبي القائد الروماني إلى الأراضي السورية واستولى عليها ، ووصلت إليه ثلاثة وفود من مملكة يهوذا لتهنئته ، فجاء الوفد الأول باسم يوحنا هركانس الذي يطلب مساعدته حتى يستتب الأمن في البلاد اليهودية ، والوفد الثاني باسم ارستوبولس والصدوقين ويطلب من بومبي التدخل السريع لإخضاع اليهودية للدولة الرومانية، والوفد الثالث باسم الشعب يطلب من بومبي التدخل السريع وتصفية العائلة المالكة.

ب. في سنة ٦٣ ق.م حاصر بومبي أورشليم لمدة ثلاثة أشهر، وبعد أن دخلها أقتحم قدس الأقداس ، ورغم أنه لم ينهب شيئاً من الهيكل إلاّ أن هذا التصرف أثار الشعب جداً ضد روما ، وظل العداء يتزايد يوماً فيوماً ، والأحلام تزداد بمجيء المسيا الذى يخلص اليهود من نفوذ الرومان.

ج. ساند بومبي يوحنا هركانس ، فعينه واليا على البلاد ، وقد حرمه من لقب " ملك " ، وأراحه عن اخيه ارستوبولس إذ حمله مع أسرته إلى روما.

وبهذا صارت اليهودية ولاية رومانية تلتزم بدفع الجزية إلى روما، وانتهت فترة الحرية التي تمتع بها الشعب خلال حكم المكابيين بما فيها من مزايا ومساوئ .

هذه الرواية تتناول بتصرف فترة المكابيين كما وردت في سفري مكابيين الأول و الثاني مع إضافات من خيال الكاتب مثل شخصية بللم .





روايات إيمانية

+ غــروب
+ أيام فى نجران
+ البحار المغــامر
+ فى الن
+ كنز قم
+ جبال د



الثمن ١٦٠ قرشاً